.. المحاضرة الأولى ..

- في أخلاق العرب قبل الإسلام :

- كانت أخلاق العرب قد ساءت وأولعوا بالخمر والقمار، وشاعت فيهم الغارات وقطع الطريق على القوافل، والعصبية والظلم، وسفك الدماء، والأخذ بالثأر، واغتصاب الأموال، وأكل مال اليتامى، والتعامل بالربا.

- وليس معنى هذا أنهم كانوا كلهم على هذه الأخلاق الذميمة، بل قد كان فيهم كثيرون لا يزنون ولا يشربون الخمر، ولا يسفكون الدماء ولا يظلمون، ويتحرجون من أكل أموال اليتامى، ويتنزهون عن التعامل بالربا،

و كانت فيهم سمات وخصال من الخير كثيرة أهلتهم لحمل راية الإسلام ومن تلك الخصال والسمات :

- الوفاء بالعهد وحبهم للصراحة والوضوح والصدق:

كان العهد عندهم ديناً يتمسكون به، ويستهينون في سبيله قتل أولادهم، وتخريب ديارهم، وكانوا يأنفون من الكذب ويعيبونه، وكانوا أهل وفاء، ولهذا كانت الشهادة باللسان كافية للدخول في الإسلام .

- أنهم أهل مروءة ونجدة :

العربي بفطرته ذو مروءة فهو يأبى أن ينتهز ضعف الضعيف، وعجز العاجز كالمرأة، والشيخ، والمريض، وهو ذو شهامة إذا استنجد به أحد أنجده .

- المضي في العزائم :

كانوا إذا عزموا على شيء يرون فيه المجد والافتخار لا يصرفهم عنه صارف، بل كانوا يخاطرون بأنفسهم في سبيله .

- الشجاعة :

كانوا مضرب الأمثال فيها، وقد كان الواحد منهم يقابل الأسد في الصحراء فينازله حتى يقهره، وبعضهم لم يعرف الفرار ولا الهزيمة قط، وقد كان لهذه الفضيلة وزنها حينما جاء الإسلام، وفرض عليهم الجهاد .

- الكرم :

كان الواحد منهم لا يكون عنده إلا فرسه، أو ناقته، فيأتيه الضيف، فيسارع إلى ذبحها، أو نحرها له، وكان بعضهم لا يكتفي بإطعام الإنسان بل كان يطعم الوحش، والطير .

- العفو عند المقدرة:

كان الواحد منهم ينازل خصمه، حتى إذا أمكنه الله منه، عفا عنه وتركه، بل كان يأبى أن يجهز على جريح .

- حماية الجار وإجارة المستجير:

كانوا إذا استجار بالواحد منهم مستجير أجاره، وربما ضحّى بنفسه وولده في سبيل إجارته .

- القناعة والرضا باليسير:

فقد كان الواحد منهم يسير الأيام مكتفياً بتمرات يقيم بها صلبه، ورشفات من ماء يرطب بها كبده، وقلة تكاليف الحياة جعلتهم يكتفون بالقليل.

جاء في الرحيق المختوم : " لعل أغلى ما عندهم من هذه الأخلاق وأعظمها نفعاً بعد الوفاء بالعهد هو عزة النفس والمضي في العزائم، إذ لا يمكن قمع الشر والفساد، وإقامة نظام العدل والخير؛ إلا بهذه القوة القاهرة، وبهذا العزم الصميم".

- تعريف الأخلاق لغة:

- الأخلاق لغة: جمع خلق (بضمِّ اللام وسكونها) اسم لسجية الإنسان وطبيعته التي خلق عليها، وهو مأخوذ من مادة (خ ل ق) التي تدل على تقدير الشيء.

- ومما يرادف لفظ (الخُلق) أو يقاربه في المعنى :

1- **الخِيم :** وهو السجية والطبيعة.
2- **المـــــلأ:** وهو الخُلُق والعشرة ، يقال: ما أحسن ملأ فلان أي خُلُقه وعشرته.

- تعريف الأخلاق اصطلاحاً :

اختلفت عبارات العلماء والباحثين في تعريف الأخلاق، ويرجع ذلك إلى أن :

- **بعضهم يرى :** إطلاق الأخلاق على هيئة في النفس الإنسانية يصدر عنها السلوك ،
- **بعضهم يرى :** إطلاق الأخلاق على نفس المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني.

- يلاحظ أن أكثر تعريفات المتقدمين ترى أن الأخلاق هيئة في النفس الإنسانية، فلا تطلق الأخلاق على المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني، ولا على الفعل الصادر من خلق الإنسان كالشجاعة أو السخاء إلا على سبيل المجاز.

من تعريفات المتقدمين تعريف الجرجاني، حيث عرف الأخلاق بأنها:

هيئة للنفس راسخة، تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى فكر و رويَّة فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلًا وشرعًا بسهولة .

- **سميت الهيئة:** خلقًا حسنًا، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة، **سميت الهيئة:** خلقًا سيئًا.

يستفاد من هذا التعريف ما يأتي:

- أن الخلق صفة مستمرة لا عارضة، ثابت في الإنسان لا تنفك عنه، فمن أكرم الضيف مرة أو مرتين لا يوصف بالكرم، ومن صارع شخصاً فهزمه لا يوصف بالشجاعة، حتى يعرف ذلك منهما مراراً.

- أن الامتثال بالخلق لا يحتاج إلى تكلف أو مجاهدة نفس، فمن تكلف السكوت عند الغضب بجهد لا يوصف بالحلم حتى يكون سكوته بلا تكلف ولا مجاهدة.

وعرفه بعض المعاصرين بأنه: صفة مستقرة في النفس فطرية أو مكتسبة، ذات آثار في السلوك محمودة أو مذمومة.

يستفاد من هذا التعريف ما يأتي:

1- أن الأخلاق منها ما هو فطري ومنها ما هو مكتسب.
2- أن الأخلاق لها آثار سلوكية، فالسلوك ليس هو الخلق، بل هو أثره وشكله الظاهر.

ومن المعاصرين رأى أن الأخلاق تطلق على نفس المبادئ وقواعد منظمة للسلوك الإنساني، ومن هذه التعاريف:

مجموعة المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني، التي يحددها الوحي، لتنظيم حياة الإنسان، وتحديد علاقته بغيره على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه.

– يستفاد من هذا التعريف ما يأتي:

1 . أن الأخلاق الإسلامية ربانية المصدر، ليست نابعة من تأملات فلسفية أو عبارات نفعية، أو تجارب تربوية، وإنما في أصولها وفروعها مستمدة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

2 . أن هذه الأخلاق تنظم علاقة الإنسان بخالقه، وبنفسه، وبالآخرين.

ولا بد أن نذكر أن مفهوم الأخلاق الإسلامية: مرتبط بمفهوم الإيمان، فمن آمن بالله وحده، وعبد الله وحده، وأحبّ الله سبحانه وتعالى حبّا يستولي على مشاعره، يستلزم هذا منه أن يتجه الإنسان المسلم نحو تحقيق رضا الله سبحانه، وهذا الاتجاه يستلزم من الإنسان سموّا عن الأنانية وعن الأهواء، وعن المآرب الدُّنيا،وعندما يعرف الإنسان حقيقة هذه الدنيا يكون سلوكه وعمله خلقاً من الدرجة الأولى، عندها نكون ماضين في طريق بلوغ الكمال الإنساني.

يستفاد من هذا :

1 . أن الأخلاق الإسلامية ترتبط بالإيمان ارتباطاً وثيقاً، فمن آمن بالله لا بد وأن يهذب الإيمان نفسه، وأن يقوده لمعالي الأخلاق.

2. أن الأخلاق في الإسلام ليست جزءاً من الدين بل هي جوهره وروحه. كيف لا و رسولنا صلى الله عليه وسلم يقول: ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)).

والملاحظ أن الأخلاق في المعنى الاصطلاحي لا تبتعد كثيراً عن المعنى اللغوي :

فالعلماء يريدون بالأخلاق تلك الصفات التي تقوم بالنفس على سبيل الرسوخ ، ويستحق الموصوف بها المدح أو الذم، حتى تصبح هذه الصفات كالسجية والطبع للإنسان.

– الفرق بين الأخلاق وبين بعض المصطلحات :

– أولاً: الفرق بين الأخلاق والقيم :

بعد أن تعرفنا على المعنى اللغوي والاصطلاحي للأخلاق، لابد من التفريق بين الأخلاق وبين المصطلحات الأخرى التي قد تتداخل معها، فإذا أردنا التفريق بين بين الأخلاق والقيم ، فلا بد أن نعرف أولاً ماهي القيم؟ القيم بالمعنى العام « مستوى أو مقياس أو معيار نحكم بمقتضاه ونقيس به ونحدد على أساسه المرغوب فيه والمرغوب عنه ».

والقيم الإسلامية: مجموعة من المعايير والأحكام النابعة من تصورات أساسية عن الكون والحياة والإنسان والإله، كما صورها الإسلام، وتتكون لدى الفرد والمجتمع من خلال التفاعل مع المواقف والخبرات الحياتية المختلفة، بحيث تمكنه من اختيار أهدافٍ وتوجهاتٍ لحياته تتفق مع إمكانياته، وتتجسد من خلال الاهتمامات أو السلوك العملي بطريقة مباشرة وغير مباشرة.

يبدو واضحاً التقارب بين مفهوم الأخلاق والقيم الإسلامية، ولعل مفهوم القيم أوسع دلالة من مفهوم الأخلاق، فالقيم هي فضائل خلقية كما أنها المعيار لسلوك أفراد المجتمع، فجميع المسلمين تقوم أعمالهم في إطار غايات وأهداف الدين الإسلامي الحنيف.

ثانياً: الفرق بين الأخلاق والغرائز:

مجموعة من المعايير والأحكام النابعة من تصورات أساسية عن الكون والحياة والإنسان والإله، كما صورها الإسلام، وتتكون لدى الفرد والمجتمع من خلال التفاعل مع المواقف والخبرات الحياتية المختلفة، بحيث تمكنه من اختيار أهدافٍ وتوجهاتٍ لحياته تتفق مع إمكانياته، وتتجسد من خلال الاهتمامات أو السلوك العملي بطريقة مباشرة وغير مباشرة.

يبدو واضحاً التقارب بين مفهوم الأخلاق والقيم الإسلامية، ولعل مفهوم القيم أوسع دلالة من مفهوم الأخلاق، فالقيم هي فضائل خلقية كما أنها المعيار لسلوك أفراد المجتمع، فجميع المسلمين تقوم أعمالهم في إطار غايات وأهداف الدين الإسلامي الحنيف.

ثانياً: الفرق بين الأخلاق والغرائز:

الغريزة: هي الدافع للإنسان إلى عمل من غير فكر، وهي جزء من الفطرة . وحتى يتضح المعنى نقول بأن الغريزة: "سلوك موروث أكثر من كونه مكتسبًا يمكن أن نصف الشخص الذي يميل إلى القتال دومًا بأنه ذو غريزة عدوانية، ولكن هذا الشخص لم يُولد ومعه رغبة القتال، ولو أتيحت له بيئة منزلية أو مدرسية مختلفة لما تطوّرت عنده تلك الخاصية."

إن الصفات المستقرة في النفس ليست كلها من قبيل الأخلاق، بل منها غرائز ودوافع لا صلة لها بالخلق، ولكن الذي يفصل الأخلاق ويميزها:

1. **أن الغرائز لا توصف بالخير أو الشر، بينما الأخلاق توصف بالخير أو الشر.**
2. **أن الغرائز لا تستوجب لصاحبها مدحً ولا ذماً، بينما الأخلاق يمدح صاحبها أو يذم حسب الخلق الذي تخلّق به.**
3. **لا يترتب على إشباع الغرائز ثواب أو عقاب، بينما يثاب من تخلّق بجميل الأخلاق، وقد يعاقب من تخلّق بقبيحها.**

ويمكن القول بأن طرق إشباع الغرائز والدوافع هو الجانب المرتبط بالأخلاق، والمدح والذم يكون على تلك الطريقة، وليس على نفس الغرائز، فمَنْ يأكل لدفع الجوع عن نفسه لا يُمدح ولا يُذم على فعل الأكل، وإنما يُمدح أو يُذمُّ على طريقته في الأكل.

ثالثاً: الفرق بين الأخلاق والسلوك:

السلوك: سيرة الْإِنْسَان ومذهبه واتجاهه يُقَال فلَان حسن السلوك أو سيء السلوك.وعرف بأنه: مجموعة أفعال الكائن الحيّ استجابة للمؤثّرات الداخليّة والخارجيّة.

– بناء على ما سبق نقول: بأن الأخلاق صورة النفس الباطنة، والسلوك هو صورتها الظاهرة التي تدل عليها، ونحن نستدل على طبيعة أخلاق المرء بسلوكه الظاهر. فالسلوك يعتبر للأخلاق كالنتيجة، فمن حسن خلقه صدر منه السلوك الحسن، ومن ساء خلقه صدر منه السلوك السيء.

المحاضرة الثانية

– أهمية الأخلاق الإسلامية :

أولًا: أن الأخلاق هي التي تميز سلوك الإنسان عن سلوك البهائم سواء في تحقيق حاجاته الطبيعية أو في علاقاته مع غيره من الكائنات الأخرى ،و لهذا فالأخلاق زينة الإنسان وحليته الجميلة ، وبقدر ما يتحلى بها الإنسان يضفي على نفسه جمالاً وبهاء وقيمة إنسانية.

قال تعالى: ((ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً)).

ثانياً: إن هدف الأخلاق تحقيق السعادة في الحياة الفردية والجماعية؛ ذلك أن الحياة الأخلاقية هي الحياة البعيدة عن الشرور بجميع أنواعها وصورها ، فإذا انتشرت الأخلاق انتشر الخير والأمن والأمان الفردي والجماعي ، فتنتشر الثقة المتبادلة والألفة والمحبة بين الناس، واذا غابت انتشرت الشرور وزادت العداوة والبغضاء ، فإذا انتشرت الأخلاق انتشر الخير والأمن والأمان الفردي والجماعي ، فتنتشر الثقة المتبادلة والألفة والمحبة بين الناس، واذا غابت انتشرت الشرور وزادت العداوة والبغضاء ،

ثالثاً: إنهاوسيلة مهمة للنهوض بالأمة ذلك أن سقوط الأمم والحضارات كثيرًا ما ترجع أسبابها إلى الانهيار الأخلاقي فيها، والأخلاق الرذيلة تعتبر نذير شؤم لأي أمة من الأمم ، ومهما وصلت أمة في التقدم المادي والحضاري فليست بشيء إذا هي انحدرت في أخلاقها، وأصيبت في قيمها.

رابعاً: أن الأخلاق الحسنة من أسباب المودة وإنهاء العداوة.والواقع يشهد بذلك، فكم من أخوة ومحبة كانت بدايتها حسن خلق، وكم من عداوةٍ انتهت لحُسن الخُلق، وكم من انشراح صدر وزوال هم كان بسبب حسن الخلق.

عن ابن عمر (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة أو تقضي عنه دينا أو تطرد عنه جوعاً ، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في المسجد شهراً ، ومن كف غضبه ستر الله عورته ، ومن كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رضا يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل)).

– مكانة الأخلاق في الإسلام :

للأخلاق في الإسلام فضلٌ كبير، ومكانة عظيمة، وهذا يظهر من وجوه كثيرة، منها ما يأتي :

أولاً: تعليل الرسالة بتقويم الأخلاق وإشاعة مكارمها، والعمل على إصلاح ما أفسدته الجاهلية منها.

فعن عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)).

قال ابن عبدالبر (رحمه الله) : " وهذا حديث صحيح، ويدخل في هذا المعنى الصلاح والخير كله، والدين، والفضل، والمروءة، والإحسان، والعدل. فبذلك بُعث ليتممه صلى الله عليه وسلم ".

ثانياً: تعريف البرِّ بأنه حُسْن الخلق، وهذا يدل على أن حسن الخلق جامع لكل أقسام الخير وخصال البر.فعن النواس بن سمعان الأنصاري (رضي الله عنه) قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن البر و الإثم فقال : ((البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك، وكرهت أن يطلع عليه الناس)).

قال العلماء : البر يكون بمعنى الصلة، وبمعنى اللطف والمبرة وحسن الصحبة والعشرة، وبمعنى الطاعة، وهذه الأمور هي مجامع حسن الخلق.

ثالثاً: إن كل المؤمنين يحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويتمنَّون قُربَهم منه يوم القيامة، وأكثر المسلمين ظَفَرًا بحب رسول الله والقرب منه مجلسًا يوم القيامة هم الذين حَسُنت أخلاقُهم، حتى صاروا فيها أحسن من غيرهم.

فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول :((ألا أُخبِركم بأحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة؟)) فسكت القوم، فأعادها مرتين أو ثلاثًا، قال القوم: نعم يا رسول الله، قال: ((أحسنكم خُلُقًا)).

في هذا الحديث بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن خيار المسلمين من حسنت أخلاقهم وكرمت صفاتهم ، أما من ساءت منهم الأخلاق وقبحت الصفات فأولئك الأشرار ، وإن كانوا يصلون، ويصومون ويحجون، فإن صلاتهم ليست بصلاة الخاشعين، وصيامهم مجاراة، وحجّهم رياء، ولو كان ذلك منهم بإخلاص لأثمر بلا مراء كرم الأخلاق، فإن الصلاة الحقة تنهى عن الفحشاء والمنكر، و الصيام الخالص داعية الصبر والكرم ، والحج المبرور ينمي خلق الصبر وحسن العشرة والمعونة، فبرهان الصدق في العبادات والإخلاص فيها كرم الأخلاق.

رابعاً: أن حُسْن الخُلُق من أكثر ما يُرجِّح كِفَّة الحسنات، ويثقل به موازين الأعمال يوم الحساب.

فعن أبي الدرداء قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ((ما من شيء يُوضَع في الميزان أثقل من حُسْن الخلق، وإن صاحب حُسْن الخُلُق لَيَبلُغُ به درجة صاحب الصوم والصلاة)).

خامساً : أن حسن الخلق أكثر عمل يدخل الناس الجنة.

فقد سئل رسول الله (صلى الله عليه وسلم):عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال: ((تقوى الله وحسن الخلق)).

قال ابن القيم (رحمه الله) : « جمع النبي (صلى الله عليه وسلم) بين تقوى الله وحسن الخلق؛ لأن تقوى الله يصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه، فتقوى الله توجب له محبة الله، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته ».

سادساً: مدح الله تعالى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم بحُسْن الخُلُق فقد جاء في القرآن الكريم في وصْف النبي الكريم قوله عز وجل: ((وإنك لعلى خلق عظيم)).و الله تعالى لا يمدح رسوله إلا بالشيء العظيم ؛ مما يدل على عظيم منزلة الأخلاق في الإسلام.

سابعاً: أن من أهم عناصر الخيرية المطلَقة بين المؤمنين هو تحليهم بالأخلاق الفاضلة، والخِصال الحميدة. فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن من أخيركم أحسنكم خلقًا)).

ثامناً: أوضح النبي (صلى الله عليه وسلم) أن الأخلاق تتناسب طرديّاً مع الإيمان؛ فكلما زاد معدل الإيمان في القلب؛ سمت الأخلاق، والعكس بالعكس.فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً)).

قال ابن القيم (رحمه الله) :" الدين كله خلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين ".

المحاضرة الثالثة

-.أقسام الأخلاق :

أولًا: باعتبارها فطرية أو مكتسبة :

أ ــ أخلاق فطرية : و هي مكارم جبل عليها الإنسان ، فتكون سجية وطبيعية له و الأخلاق الفطرية قابلة للتنمية والتوجيه والتعديل ؛ لأنَّ وجود الأخلاق الفطرية يدل على وجود الاستعداد الفطري لتنميتها بالتدريب والتعليم وتكرر الخبرات ، والاستعداد الفطري لتقويمها وتعديلها وتهذيبها.

ومما يدل على الأخلاق الفطرية : حديث أشج عبد القيس، الذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم : ((إن فيك خَلَّتين يحبهما الله: الحِلم، والأناة))، قال: يا رسول الله، أنا أتخلَّق بهما، أم الله جبَلني عليهما؟ قال: ((بل جبَلك الله عليهما))، قال: الحمد لله الذي جبلني على خَلَّتين يحبهما الله ورسوله.

قال ابن القيم: فدل على أن من الخُلق ما هو طبيعة وجِبِلّة، وما هو مكتسب.

ب ــ أخلاق مُكتَسبة:

يمكن تحصيلها بالتعلم والتعود عليها.كما دلَّ على ذلك حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: ((أن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفد ما عنده، فقال: ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر)).

قال ابن القيم: فإن قلت: هل يمكن أن يقع الخُلق كسبيًا أو هو أمر خارج عن الكسب؟ قلت: يمكن أن يقع كسبياً بالتخلق والتكلُّف، حتى يصير له سجيةً وملكة.

ثانياً: تنقسم الأخلاق من حيث علاقتها إلى ثلاثة أقسام:

– القسم الأول: الخلق مع الله:

و نقصد به :القواعد والأسس التي تَحكُم علاقة العبد بربه (سبحانه وتعالى) وما يتفرَّع عنها من آداب وممارسات ظاهرة وباطنة.إنّ حق الله تعالى على الإنسان هو أعظم الحقوق على الإطلاق، والأدب مع الله هو أوجبُ الواجبات؛ إذْ هو الخالق، وحده لا شريك له، وما عداه مخلوق؛ فلا يستوي حقُّ المخلوق مع حق الخالق بحالٍ.

– من أصول المعاملة مع الله:

أ. لزوم طاعته واجتناب معصيته، والحرص على ألا يفقده ربه حيث أمره، وألا يراه حيث نهاه، سواءٌ ذلك في الغيب والشهادة، وفي السر والعَلَن، وفي العسر واليسر.

ب. احترام كتابه وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، والتأدب معهما، والتسليم لهما، من غير غلوّ ولا تفريط في الفهم والتطبيق.

ج. إجلاله سبحانه، وتنزيهه عن كل نقْص، ووصْفه بما وَصَف به نفسه، وفْق ما جاء به كتابه وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واعتقاد ذلك اعتقاداً جازماً.

د. إحسان الظن به سبحانه بما هو أهلُهُ عز وجل.

– القسم الثاني: الخُلُق مع النَّفْس:

ونعني به : ما يَلتزِم به المسلم في خاصة نفسه من آداب وأخلاق، وما يسوس به نفسه من تهذيب وتزكية وتربية.

– و من أصول معاملة الإنسان لنفسه :

أ. إلزام النفس بإخلاص العمل لله تعالى على كل حالٍ.

ب. إلزامها بالخُلُق الحسن والأدب مع الناس وسائر مخلوقات الله عز وجلّ، على أفضل وجه.

ج. البعد عن ظُلْم نفسه بشيءٍ من أنواع الظلم، سواءٌ كان ذلك بإتْباعها هواها على خلاف الشرع وحدودِ الاستقامة، أو بمَنْعها من الأخذ بالفُسْحة التي في ديننا.

د. إلزام النفس بالرضا عن الله، والرضا بقَدَرِ الله.

القسم الثالث: الخُلُق مع الخَلْق:

ونعني به : ما يَلتزِم به المسلمُ من أخلاق مع غيره، والأسس والقواعد الأخلاقية التي تَضبِط علاقته بالآخرين.

وهذا القسم يمكن تقسيمه إلى أقسام عدة؛ مِثْل:

– الخلق مع الأنبياء والرسل

– الخلق مع الوالدين

– الخلق مع أولي الأرحام

– الخلق مع المؤمنين،

– الخلق مع الكافرين . و غير ذلك.

– ومن أصول المعاملة مع الناس:

أ. أنْ تكون علاقته بهم قائمة على أساس علاقته مع الله.

ب. أن يَسُودُ الحُبُّ فيما بينهم وتختفي الكراهية والحِقد.

ج. أن يَسُودُ خُلُق إعطاء الحقوق، ويختفي العقوق ومنْع الحقوق.

د. أن يَسُودُ الإنصاف من النفس واتّهامها، ويختفي تَبْرئةُ النفس واتّهام الآخرين.

وإذا استعمَل الإنسان الأدب والمعاملة الحميدة المتعيّنة عليه تُجاه ربه الخالق سبحانه، وتُجاه الناس، وتُجاه نفسه، وتُجاه سائر مخلوقات الله تعالى؛ فإنه يَصير بذلك صاحِبَ أخلاقٍ حميدة.

فإذَنْ ليس بين الإنسان وبين مكارم الأخلاق إلا التعرّف على ما يَلزمه من معاملةٍ مع الله، ومع الناس، ومع نفسه، ومع المخلوقات الأخرى، ثم الالتزام والتطبيق.

– أمهات الأخلاق :

جمع الله له مكارم الأخلاق في قوله تعالى: ((خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)).

هذه الآية من ثلاث كلمات، تضمنت قواعد الشريعة في المأمورات والمنهيات.

فقوله: (خذ العفو) دخل فيه صلة القاطعين، والعفو عن المذنبين، والرفق بالمؤمنين.

و دخل في قوله: (وأمر بالعرف) صلة الأرحام، وتقوى الله في الحلال والحرام، وغض الأبصار، والاستعداد لدار القرار.

وفي قوله (وأعرض عن الجاهلين) الحض على التعلق بالعلم، والإعراض عن أهل الظلم، والتنزه عن منازعة السفهاء، ومساواة الجهلة الأغبياء.

قال جعفر الصادق (رحمه الله): "أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بمكارم الأخلاق وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية".

و قد أرجع العلماء جميع الأخلاق الفاضلة إلى أربعة :

الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل.

فالصبر : يحمله على الاحتمال وكظم الغيظ، وكف الأذى، والحلم والأناة والرفق، وعدم الطيش والعجلة.

و العفة : تحمله على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل، وتحمله على الحياء، وتمنعه من الفحشاء، والبخل والكذب، والغيبة والنميمة.

والشجاعة : تحمله على عزة النفس، وإيثار معالي الأخلاق والشيم، وعلى البذل وكظم الغيظ والحلم.

والعدل : يحمله على اعتدال أخلاقه، وتوسطه فيها بين طرفي الإفراط والتفريط. فيحمله على خلق الشجاعة، الذي هو توسط بين الجبن والتهور. وعلى خلق الحلم، الذي هو توسط بين الغضب والمهانة وسقوط النفس.

وأرجع العلماء جميع الأخلاق السافلة، إلى أربعة:

الجهل، والظلم، والشهوة، والغضب.

فالجهل : يريه الحسن في صورة القبيح، والقبيح في صورة الحسن.

والظلم : يحمله على وضع الشيء في غير موضعه. فيغضب في موضع الرضا، ويرضى في موضع الغضب، ويجهل في موضع الأناة، ويبخل في موضع البذل، ويبذل في موضع البخل.

والشهوة : تحمله على الحرص والشح والبخل، وعدم العفة والجشع، والذل والدناءات كلها.

والغضب : يحمله على الكبر والحقد والحسد، والعدوان والسفه.

المحاضرة الرابعة

– خصائص الأخلاق الإسلامية :

الخصائص جمع خاصية، وهي : الصفة التي توجد في الشيء ولا توجد في غيره وخصائص الأخلاق في الإسلام تختص بها عن غيرها في القوانين الوضعية والأديان السابقة التي طالتها يد التحريف.ثم إن الأخلاق الإسلامية تمتاز بجملة من الخصائص العظيمة التي تعكس روح الإسلام وجماله،

– وإليك بيان جملة من هذه الخصائص :

أولاً: أنها ربانية المصدر : إن الأخلاق الإسلامية ليست رأيًا بشريًّا، ولا نظامًا وضعيًّا، إنما هي مستمدة من شرع ربِّ العالمين.

– واستمدادها من الشريعة الإسلامية يكون بعدة طرق :

أ . من الأخلاق ما أثبته الشرع ابتداءً ب. ومنها ما أقره مما قد تعارف عليه الناس.

حتى ما لم ينصَّ عليه الشرع من محاسن الأخلاق، فربانيته في اندراجه تحت أصل شرعي عام : (ما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن).

وتمتاز الأخلاق في الإسلام بخاصية الربانية من وجهين:

أحدهما : ربانية في مصدرها ، أي أنها من الله تعالى هو الذي أمر بها وحث عليها و رغب فيها ، ونهى عما يخالفها وحذر منه إما في القرآن الكريم أو في سنة النبي صلى الله عليه وسلم. وهذه الخاصية تنمح الأخلاق ثقة وقبولاً، وتجعلها في موضع الرضا والتسليم ، لخلوها من التناقض والاختلاف والغموض.وما دامت ربانية المصدر فهي بذلك تخاطب العقل والمنطق، وهي كذلك ملائمة للفطرة السليمة.

ثانيهما: ربانية الغاية والقصد: مهما تخلَّق إنسان بالأخلاق الإسلامية، فإنها ستبقى صورة بلا روح، طالما لم يُرِد بها صاحبُها وجه الله ورضاه، فليس الغرضُ من الأخلاق الإسلامية وجودَ صورتها الخارجية، وإنما تهدف إلى أن تملك على المسلم قلبه، فيدفعه إليها إيمانه، ويزيده الالتزام بها إيمانًا.

ويبين ربانية الغاية والمقصد قوله تعالى: ((ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً)).

وهم في حال يحبون فيها المال والطعام ، لكنهم قدموا محبة الله على محبة نفوسهم، ويتحرون في إطعامهم أولى الناس وأحوجهم {مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا} .

ويقصدون بإنفاقهم وإطعامهم وجه الله تعالى ، ويقولون بلسان الحال : ((إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً)).

أي: لا جزاء مالياً ولا ثناء قولياً.

– ثانياً: أنها أخلاق شاملة :

معنى شمولية الأخلاق في الإسلام: أنها ما تركت خلقاً فاضلاً إلا ودعت إليه ، و لا خلقاً مذموماً إلا ونهت عنه، مستوعبة في ذلك الزمان والمكان.

فلا يقال: إنها تصلح لزمن ولا تصلح لآخر، ولا أنها تصلح لبيئة دون أخرى.إن الأخلاق الإسلامية تتنوع فتشمل أخلاق الإنسان الخاصة مع نفسه أو المتعلقة بغيره، سواء كان فردا أو جماعة أو دولة، وسواء كان مسلماً أو كافراً، وسواء كان ذلك في المجال الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي

– و نوضح ذلك ببعض الأمثلة :

1 – من الأخلاق ما يتعلق بالأسرة :

أ. في العلاقة بين الزوجين أمر أن تكون بالمعروف والرفق والإحسان، قال تعالى: ((وعاشروهن بالمعروف)).

ب. في العلاقة مع الأولاد يأمر الإسلام بالعدل بينهم في المعاملة والعطية، يقول صلى الله عليه وسلم: ((اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم)).

ج. في العلاقة بين الأرحام أمر بصلة الرحم، قال تعالى: ((فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم)).

و عن أبي بكرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ما من ذنب أحرى أن يعجل الله تعالى عقوبته في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم ».

2. من الأخلاق ما يتعلق بالمجتمع :

أ. حث على أخلاق وآداب زيارة الناس، قال تعالى: ((لا تدخلوا بيوتاً حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها)).

أرشد الله عباده المؤمنين، أن لا يدخلوا بيوتا غير بيوتهم بغير استئذان، فإن في ذلك عدة مفاسد :

منها ما ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم ، حيث قال " إنما جعل الاستئذان من أجل البصر " فبسبب الإخلال به، يقع البصر على العورات التي داخل البيوت، فإن البيت للإنسان في ستر عورة ما وراءه، بمنزلة الثوب في ستر عورة جسده. ومنها: أن ذلك يوجب الريبة من الداخل، ويتهم بالشر سرقة أو غيرها، لأن الدخول خفية، يدل على الشر، ومنع الله المؤمنين من دخول غير بيوتهم حَتَّى يَسْتَأْنِسُوا أي: يستأذنوا.سمي الاستئذان استئناسا، لأن به يحصل الاستئناس، وبعدمه تحصل الوحشة.

ب. في مجال الاقتصاد والمعاملات أمر بالقسط والعدل، ومنع من الحيلة والعدوان وأكل أموال الناس بالباطل قال تعالى: ((ويل للمطففين | الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون | وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون)).

وما ذكر في الآية من الكيل والوزن هو مثال، فيقاس عليه كل ما شبهه، فكل من طلب حقه كاملاً ممن هو عليه ومنع الحق الذي عليه فإنه داخل في الآية الكريمة، كمن يطلب حقه من أولاده ويمنعهم حقوقهم ومن يطلب حقه من زوجته ويمنعها حقوقها.

ج. في مجال السياسة والحكم يأمر بالعدل والأمانة، قال تعالى: {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً } .

3. خُلُق مع غير المسلم، وذلك بأن يتحلى المسلم مع غير المسلم بالعدل والإحسان وحُسْن القول والمعاملة.

من ذلك قوله تعالى: ((لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)).

وقول النبي : ((ألا من ظَلَمَ مُعَاهِدًا أو انْتَقَصَهُ أو كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أو أَخَذَ منه شيئا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يوم الْقِيَامَةِ)).

والمعاهَد هو الذي يعيش في كنف المجتمع المسلم مسالماً.

– ثالثاً : أنها أخلاق مثالية واقعية :

معنى كونها واقعية : أي أنها عملية وقابلة للتطبيق، ولا يستعصي على أحد الإتيان بها والاستمرار عليها.

ومعنى كونها مثالية : أنها تستجيب لتطلعات مَنْ نفسه أبيةٌ تتوق إلى معالي الأمور، وتسعى للتحلي بالفضائل والقيم، ولا يرضى أن يكون كعامة الناس، ففسح الشارع له في ذلك.

إن الأخلاق الإسلامية تدعو الناس إلى السمو، وتراعي نفسية البشر واحتياجاتهم وقدراتهم على الارتقاء، كما تراعي حقهم في ألا يُعتدَى عليهم، وفي ان يُقتص لهم، فلا تطالبهم بما فوق طاقتهم، عملًا بقوله تعالى: ((فاتقوا الله ما استطعتم)).

من أمثلة الواقعية المثالية:

أ. أن الجائع لايعد خائنًا للأمانة إن سرق ليأكل.

ب. ولا يعتبر الخائف أو المكرَه ناقضًا للصدق إن كذب لينجو – حين لا ينجيه من البطش إلا الكذب –.

ج. كما أن الشريعة الإسلامية أعطت المسلم حق الدفاع عن نفسه ورد الظلم عنه وعن ماله وعرضه، وأن يدفع السيئة بمثلها، ثم تركت مساحة لمن يقوى على تحمل الظلم، محتسباً أجره على الله فقال تعالى: ((و جزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى وأصلح فأجره على الله)).

قال الشوكاني (رحمه الله) : " ذكر (سبحانه) المغفرة عند الغضب في معرض المدح فقال: «وإذا ما غضبوا هم يغفرون» كما ذكر الانتصار على الباغي في معرض المدح (أيضا) لأن التذلل لمن بغى، ليس من صفات من جعل الله له العزة، حيث قال (سبحانه) وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ. فالانتصار عند

البغي فضيلة، كما أن العفو عند الغضب فضيلة ".

رابعاً: أنها أخلاق وسط:

تأتي الوسطية بمعنى: العدل والخيرية والتوسط بين الإفراط والتفريط.

ومن ذلك قوله عز وجل : ((و كذلك جعلناكم أمة وسطاً)).

وهذه الخاصية أكبر من أن يقدر على تحقيقها العقل البشري ، ولهذا لا يخلو منهج أو نظام يصنعه البشر من الإفراط أو التفريط بحسب طبيعة كل إنسان، ولذلك فإن القادر على إعطاء كل شيء في الوجود حقه هو الله الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً.

ومن شواهد وسطية الأخلاق ما يأتي :

1. حديث عائشة رضي الله عنها أنَّها قالت: ((ما خُيِّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلَّا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد النَّاس منه، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه، إلا أن تُنتَهك حُرْمَة الله فينتقم لله بها)).

ففي الحديث تقص علينا عائشة (رضي الله عنها) عظيم خلق الرسول صلى الله عليه وسلم، وتذكر خلقين من أخلاقه العالية، هما اختيار الأسهل الأيسر ما لم يكن محرماً، وعدم الانتقام لنفسه ما لم تغش محارم الله، فينتقم لله.

2 . أن الشريعة الإسلامية أقرت التفاوت الفطري والعملي بين الناس، فليس كل الناس في درجة واحدة من حيث قوة الإيمان، والالتزام بما أمر الله به من أوامر، والانتهاء عما نهى عنه .فهناك مرتبة الإسلام، ومرتبة الإيمان، ومرتبة الإحسان وهي أعلاهن، كما أشار إلى ذلك حديث جبريل المشهور، ولكل مرتبة أهلها. وهناك الظالم لنفسه، والمقتصد، والسابق بالخيرات، كما أرشد إلى ذلك القرآن الكريم، وإلى هؤلاء يشير قوله تعالى في سورة فاطر: ((ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله)).فالآية الكريمة تجعل هؤلاء الأصناف الثلاثة (على تفاوت مراتبهم) من الأمة التي اصطفاها الله من عباده، وأورثها الكتاب.

3. ومن وسطية الأخلاق في القرآن أنها لم تتصور في أهل التقوى أن يكونوا سالمين من كل عيب، بعيدين عن كل ذنب، كأنهم هم ملائكة أطهار، بل قدرت حقيقة الإنسان وطبيعته البشرية، المركبة من الروح والطين، فإذا كانت الروح تعلو به مرة، فإن الطين يهبط به تارة، وفضل المتقين على غيرهم إنما في التوبة والرجوع إلى الله عند ارتكاب الذنوب. قال تعالى: ((وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ))

ويبين القرآن الكريم مهمة الأخلاق الخطيرة مع الإنسان منذ النشأة الأولى، حين ذكر توبة أبينا آدم، وأنه ثاب إلى خلق رضي من أخلاق الإيمان وهو الاعتذار عن الخطأ، والاعتراف به، والافتقار إلى مولاه فقال هو وزوجه: ((قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين)) و يقارن القرآن الكريم هذا الخلق بخلق مضاد له وهو الاستكبار والإباء عن أمر الله –عز وجل– الذي أهلك إبليس، وطرده من رحمة الله عن سعتها.

5. قوله تعالى: ((وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا)).في الآية نهى الله الإنسان بأن يمسك إمساكاً يصير به مضيقاً على نفسه وعلى أهله، ولا يوسع في الإنفاق توسيعا لا حاجة إليه بحيث يكون به مسرفا، فهو نهي عن جانبي الإفراط والتفريط. ويتحصل من ذلك مشروعية التوسط، وهو العدل الذي ندب الله إليه.

6. قوله تعالى: ((وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ)).أي لا تترك حظك من لذات الدنيا التي أباحها الله من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والزواج، فإن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه. وهذه هي وسطية الإسلام في الحياة.

ومن المناسب هنا أن أذكر أن التوسط في الأخلاق، لا يعني البينية مطلقاً، أي: الوسط بين خلقين دائماً، فلا وسطية بين الصدق والكذب مثلاً.

المحاضرة الخامسة

– وسائل اكتساب الأخلاق :

– يزعم البعض أن الأخلاق لا يتصور تغيرها، لأن الخلق كله فطري ومن جنس الخِلقة.ويمكن الإجابة على هذا التصور بأمور :

أ. أنه ولو صح ذلك لبطلت الوصايا والمواعظ والخطب.

ج. أن تغير خلق البهيمة ممكن، وكم من حيوان نقل من الاستيحاش إلى الاستئناس والسياسة والانقياد كالكلب والفرس الجموح، بل حتى الأسد والنمر والصقر والقرد، وكل ذلك تغيير للأخلاق، فأجدر بالإنسان أن تتغير أخلاقه بالتدريب والرياضة.

ثم إنه لا ريب أن أثقل ما على الطبيعة البشرية تغيير الأخلاق التي طبعت عليها النفس، إلا أن ذلك ليس متعذراً ولا مستحيلاً، بل إن هناك أسبابا عديدة، ووسائل متنوعة يستطيع الإنسان من خلالها أن يكتسب حسن الخلق.

– ومن ذلك ما يلي :

أولاً: سلامة العقيدة :

إن شأن العقيدة عظيم ، وأمرها جلل، فالسلوك (في الغالب) ثمرة لما يحمله الإنسان من فكر، وما يعتقده من معتقد، وما يدين به من دين.و الانحراف في السلوك إنما هو ناتج عن خلل في المعتقد. و قد جاء الربط في كتاب الله بين الكفر وسوء الخلق؛ فقد أخبر الله (تعالى) عن الكافرين و هم في النار فقال : ((مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ* قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ* وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ* وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ* وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ* حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ)).

أي: قال المجرمون لأصحاب اليمين: الذي أدى بنا إلى الإلقاء في سقر، أننا في الدنيا لم نقم بأداء الصلاة الواجبة علينا، ولم نعط المسكين ما يستحقه من عطاء، بل بخلنا عليه، وحرمناه حقوقه..وكنا (أيضا) في الدنيا نخوض في الأقوال السيئة وفي الأفعال الباطلة مع الخائضين فيها، دون أن نتورع عن اجتناب شيء منها. و أصل الخوض: الدخول في الماء، ثم استعير للجدال الباطل، وللأحاديث التي لا خير من ورائها.

ثانياً: التفكر في الآثار المترتبة على حسن الخلق:

إن معرفة ثمرات الأشياء، واستحضار حسن عواقبها، من أكبر الدواعي إلى فعلها، وتمثلها، والسعي إليها. فكلما تَصَعَّبَت النفس فذكّرها تلك الآثار، وما تجني بالصبر من جميل الثمار، فإنها حينئذ تلين، وتنقاد طائعة منشرحة، فإن المرء إذا رغب في مكارم الأخلاق، وأدرك أنها من أولى ما اكتسبته النفوس، وأجل غنيمة غنمها الموفقون، سهل عليه نيلها واكتسابها.ويمكنك النظر في آثار أخلاق السلف عليهم في حياتهم وبعد مماتهم.

وانظر كذلك في عواقب سوء الخلق: وذلك بتأمل ما يجلبه سوء الخلق من الأسف الدائم، والهم الملازم، والحسرة والندامة، والبغضة في قلوب الخلق، فذلك يدعو المرء إلى أن يُقْصِرَ عن مساوئ الأخلاق، وينبعث إلى محاسنها.

ثالثاً: الجليس الصالح والبيئة الصالحة :

فالمرء مولع بمحاكاة من حوله، شديدُ التأثر بمن يصاحبه.ومجالستهم تكسب المرء الصلاح والتقوى، والاستنكاف عنهم تَنَكُّبٌ عن الصراط المستقيم.

قال الله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)).و قال تعالى: ((وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً)).

وعن أبي موسى، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " إنما مثل الجليس الصالح، والجليس السوء، كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحا خبيثة ".

قال النووي: "فيه تمثيله صلى الله عليه وسلم الجليس الصالح بحامل المسك، والجليس السوء بنافخ الكير، وفيه فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب، والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع ومن يغتاب الناس أو يكثر فُجْرُه وبطالته ونحو ذلك من الأنواع المذمومة".

و عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسا، فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله، فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء ، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرا قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي، فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة ".

قال النووي: " قال العلماء: في هذا استحباب مفارقة التائب المواضع التي أصاب بها الذنوب، والأخدان المساعدين له على ذلك ومقاطعتهم ما داموا على حالهم، وأن يستبدل بهم صحبة أهل الخير والصلاح والعلماء والمتعبدين الورعين، ومن يقتدى بهم وينتفَع بصحبتهم ".

وقال ابن حجر: " التائب ينبغي له مفارقة الأحوال التي اعتادها في زمن المعصية، والتحول منها كلها ".

رابعاً : القدوة الحسنة :

قال الله تعالى: ((لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً)).

إن القدوة هي أعظم طرق اكتساب الأخلاق، فلا بد للطفل من قدوة في والديه ومدرسته كي يتشرب الأخلاق الإسلامية ويسير على نهجها، ولا بد للكبار من قدوة في مجتمعهم تطبعهم بطابع الإسلام وأخلاقه، ولا بد للمجتمع من قدوة في قيادته بحيث يتطلع إليها ويسير على منوالها، ولا بد أن تكون قدوة الجميع هي شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم.

خامساً: التدريب العملي والممارسة التطبيقية :

ولا بد في بداية الأمر من تكلف ومجاهدة، وقسر النفس على غير ما تهوى؛ فالعلم بالتعلم والحلم بالتحلّم، والصبر بالتصبّر، والاستعفاف بالتعفّف.

قال (صلى الله عليه وسلم): ((و من يستعفف يعفّه اللّه ومن يستغن يُغنه اللّه، ومن يتصبّر يُصبِّره اللّه)).

المحاضرة السادسة

– الإلزام الخلقي والمسؤولية والجزاء :

يرتبط الإلزام الخُلُقي، والمسؤولية الخُلُقية، والجزاء الخُلُقي، ببعضها ارتبط العلة بالمعلول، فيكون الإلزامَ أولاً، فتترتب عليه المسؤوليةُ، فيلزم منهما الجزاء.

و فيما يأتي تعريفٌ موجزٌ بكلٍ منها :

– تعريف الإلزام الخلقي، وذكر مصادره والعوامل التي تحمل عليه.

– تعريف الإلزام الخلقي :

الإلزام في اللغة: الفرض والإيجاب.

و يمكن تعريفه اصطلاحاً بأنه: تكليفٌ صادرٌ من الشرع بامتثال خُلُقٍ محمودٍ، أو اجتنابِ خُلُقٍ مذموم .

و هذا التكليف أعم من أن يكون جازماً أو غير جازم، وفي جانب الفعل أو الترك .

– مثال السلوك الخُلُقي المطلوب فعله على سبيل الحتم والإيجاب: بر الوالدين

– مثال المطلوب فعله ولكن ليس على سبيل الحتم والإيجاب: إماطة الأذى عن الطريق، وهو المندوب.

– مثال المطلوب تركه طلباً جازماً: الكِبْر والحسد، وهو الحرام.

– مثال المطلوب تركه ولكن ليس على سبيل الحتم: أن يشرب الماء في نفس واحدٍ، أو أن يتنفس في الإناء، وهو المكروه.

– مصادر الإلزام الخلقي :

– المصدر الأول: القرآن الكريم :

– يعتبر القرآن الكريم هو المصدر الأساسي للإلزام الخلقي، إذ أن آياته تنتظم على النحو الآتي:

– آيات الاعتقاد وهي تتعلق بما يجب على المكلف أن يعتقده في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

– آيات تتعلق بما يجب على المكلف أن يتحلى به من الفضائل ويتخلى عنه من الرذائل.

آيات تتعلق بما يصدر عن المكلف من أعمال وأقوال وتصرفات وهي على نوعين: العبادات، ويقصد بها تنظيم علاقة الإنسان بربه، والمعاملات ويقصد بها تنظيم علاقات الناس بعضهم ببعض سواء كانت علاقات أفراد أو أمم أو جماعات، وهذه تضم أخلاقاً تتصل بالأسرة، والقضاء ونظام الحكم، ومعاملات الدولة الإسلامية، ومعاملات غير المسلمين، كما تضم أخلاقا تتصل بالنواحي المادية والاقتصادية.

المصدر الثاني: السنة النبوية:

ما صدر عن الرسول صلّى الله عليه وسلّم لا يخلو مما يلي :

– بيان المنهج الإسلامي، فهذا شرع متبع، وبالتالي يكون خلقاً من أخلاق الإسلام.

– ما صدر عنه بمقتضى طبيعته البشرية، أو صدر عنه بمقتضى الخبرة البشرية أو بمقتضى العادات الجارية، فهو ملزم إذا قام على ذلك دليل يدل على أن المقصود من فعله الاقتداء.

– ما صدر عنه ودل الدليل على أنه خاص به، فلا يعتبر تشريعاً لعموم المسلمين.

وعليه : فإن ما يثبت بدليل يقصد به التشريع العام واقتداء المسلمين به فهو من قبيل الإلزام، لأنه قانون يجب اتباعه .

ومهما يكن من أمر، فإن السنة زاخرة بالأخلاق، ولا غرو فهي حياة النبي صلّى الله عليه وسلّم، والمجتمع الإسلامي المعاصر له، ولأنها مصدر تشريعي لهذه الحياة كانت بالتوجيه ملازمة للقرآن، وبالتالي فإن اعتبارها مصدر الإلزام الخلقي أمر واجب.

المصدر الثالث: الإجماع:

إن دور الإجماع هو حسم مشكلة جديدة، ذات طابع أخلاقي أو فقهي، أو عبادي ، قال تعالى : ((كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ)).

قال السعدي (رحمه الله) " يمدح تعالى هذه الأمة ويخبر أنها خير الأمم التي أخرجها الله للناس، وذلك بتكميلهم لأنفسهم بالإيمان المستلزم للقيام بكل ما أمر الله به، و بتكميلهم لغيرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المتضمن دعوة الخلق إلى الله وجهادهم على ذلك وبذل المستطاع في ردهم عن ضلالهم وغيهم وعصيانهم، فبهذا كانوا خير أمة أخرجت للناس ".

– العوامل التي تحمل على الالتزام الخلقي :

– هناك جملة من العوامل تحمل المرء على الالتزام، وتعينه عليه، وهي تنقسم إلى داخلية وخارجية :

–العوامل الداخلية :

و يمكن حصرها في أربعة: الإيمان والعقل والفطرة والضمير

–.الإيمان : ونعني به الإيمان بالله وبرسالاته وباليوم الآخر، فإن لها أكبر الأثر على الالتزام بالأخلاق الحميدة.

– العقل : وذلك أن الإنسان إذا رأى أن عاقبة فعله ستكون نافعةً ومفيدةً أقْدَمَ عليه، وإذا رأى أنها ستكون ضارةً أو أليمةً أحجمَ عنه.

– الفِطْرة : فقد غرس الله سبحانه في الإنسان الفِطْرة، وجعلها تهفو إلى الإيمان والخُلُق الحميد إذا تركت وشأنها، ولم تتدخل الأطراف الخارجية.

– الضمير: (أو ما يسمى بالوازع الديني) ويُقصد به ذلك الشعور الخفي الذي يُحِسُّ به المرءُ في أعماق نفسه، يناديه ويدفعه إلى ممارسة فعلٍ أو الكف عنه. وحين يستجيب لندائه يغمره شعور عارم بالراحة واللذة، بعكس ما لو تجاهله، حيث يشعر بالانقباض والألم النفسي.

العوامل الخارجية:

ويمكن حصرها في عاملين رئيسين:

– المجتمع: فإن الأمة كلها مطالبة بأن تراقب أفعال أبنائها وتصرفاتهم، وتأخذ على يد الظالم والعابث ،وإلا نال جميعهم شؤم المعصية وشرها، كما قال تعالى: ((واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة)).

السلطة الحاكمة: إن أهم واجبات السلطة الحاكمة (ولي الأمر أو من ينوب عنه) هو حملُ الناسِ على الالتزام بحدود الشرع الحنيف أمراً ونهياً ، و التحلي بمكارم الأخلاق، والابتعاد عن الرذائل.

– تعريف المسؤولية الخلقية، وذكر خصائصها :

– تعريف المسؤولية الخلقية :

المسؤولية كلمة حديثة الاستعمال، ليس لها وجود في استعمالات الفقهاء المتقدمين، إنما هي تعبير استعمله بعض الفقهاء المتأخرين إن الأخلاق الإسلامية قائمة على التكليف، ويعني هذا أن الأخلاق الإسلامية قائمة على المسؤولية التي تلزم الإنسان بالعمل الخلقي.

يقصد بالمسؤولية: "تحمل الشخص نتيجة التزاماته وقراراته واختياراته العملية من الناحية الإيجابية والسلبية أمام الله" .

– شروط المسؤولية الخلقية :

1. الإعلام والبيان:

إن الإنسان يجب أن تصل إليه الدعوة، وذلك حتى تستيقظ الضمائر الغافلة، وهذا لا يتم إلا بإعلام الإنسان بما هو مفروض وواجب عليه فعلاً أو تركاً، بمعنى أن الإنسان لابد أن يكون عالماً بما هو مكلف به.

وقد اقتضت الحكمة الإلهية أن يعلم الإنسان وتعلم الأمم بواجباتها وحقوقها عن طريق الرسل الذين يذكروهم دائما بالأوامر الشرعية من أجل تحقيق المسئولية والالتزام، وقد وردت الآيات القرآنية دالة على ذلك، فما كان الله ليحاسب إلا بعد الإبلاغ والبيان والإعلام،

وما كان الله ليعذب أهل القرى دون أن يرسل لهم الرسل والأنبياء لدعوتهم إلى التقوى والصلاح وحتى يكونوا شهداء عليهم ، قال تعالى: ((وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً)).

قال الشوكاني (رحمه الله) " ذكر أنه لا يعذب عباده إلا بعد الإعذار إليهم بإرسال رسله، وإنزال كتبه، فبين سبحانه أنه لم يتركهم سدى، ولا يؤاخذهم قبل إقامة الحجة عليهم، والظاهر أنه لا يعذبهم لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا بعد الإعذار إليهم بإرسال الرسل، وبه قالت طائفة من أهل العلم."

2. الالتزام الشخصي:

تتسم المسؤولية الخلقية في الإسلام بأنها ذات طابع شخصي فردي خالص، قال الله تعالى: ((مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ)).

ففي الآية إخبار عن الواقع يوم القيامة في جزاء الله تعالى وحكمه وعدله، أن النفوس إنما تجازى بأعمالها إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وأنه لا يحمل من خطيئة أحد على أحد.

3. النية (القصد) :

الإنسان غير مسؤول عن الأعمال اللاإرادية، ولا هو مسؤول عن الفعل الخطأ غير المقصود؛ وذلك لعدم استهدافها الشر أو الخطأ. فالإنسان لا يحاسب على عمل إلا إذا توافر القصد الكامل له، وهذا مصداق قوله سبحانه وتعالى: ((وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم)).وهكذا يظهر دور النية في الأخلاق الإسلامية باعتبارها شرطاً ضرورياً، ومصداق هذا قول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إنما الأعمال بالنيات» .يفيد الحديث أن الأعمال لا قيمة لها إلا بالنية، وأن الأعمال بنياتها، وهذا يؤكد وجود النية كشرط لقيمة الفعل الخلقي .

4. حرية الاختيار:

أي أن يكون الخلق نابعاً من إرادته، مختاراً فيه؛ وإلا فلو كان مكرهاً لم يتحمل مسؤولية تصرفه؛ لأنه بذلك يكون قد تحول إلى آلة لتنفيذ الفعل، ولا يُنسب الفعل إليه. قال تعالى: ((مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)).

فبين أن الإثم مرفوع عن المكره ولو نطق بكلمة الكفر مادام يجد قلبه مطمئناً بالإيمان، وفي الحديث أيضاً يقول النبي : ((إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ عن أمتي الخطأ والنسيَانَ وما استُكْرِهُوا عليه)).

تعريف الجزاء الخلقي، وذكر أنواعه.

– تعريف الجزاء الخلقي:

هو المكافأة أو الأثر المترتب على الفعل الأخلاقي. سواءٌ أكان هذا الجزاء ظاهراً كالسجن، أم باطناً كتأنيب الضمير. وسواءٌ أكان في الدنيا، أم في الآخرة

– للجزاء الأخلاقي ثلاثة أنواع هي :

1– الجزاء نفسي داخلي.

2– الجزاء الشرعي.

3 – الجزاء الإلهي.

– و فيما يلي تناول موجز لهذه الأنواع :

أولاً: الجزاء الأخلاقي المباشر:

يباشر الإنسان عمله طبقاً لقواعد يعرفها ويحس بها، وبعد ذلك تحدث في النفس أصداء معبرة عن الرضا في حالة النجاح، وعن الألم في حالة الفشل. إن الجزاء النفسي الداخلي يلمسه المسلم من نفسه بالرضا عند الطاعة، والألم عند المعصية، وهو ما يسمى برضا الضمير، أو تأنيبه ووخزه. و قد أخبر الرسول عن ذلك الشعور واعتبره من علامات الإيمان، فقال: ((من سرته حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن)).

ثانياً: الجزاء الشرعي:

المراد بالجزاء الشرعي: تلك العقوبات التي أقرتها الشريعة الإسلامية لأولئك الذين يتعدون حدود الله، فيظلمون بذلك أنفسهم أولاً، وغيرهم ثانياً.

وبالنظر في نظام المجازاة في التشريع الإسلامي

– يمكن أن نميز فيه مرتبتين أساسيتين هما:

الحدود: هي الجزاءات التي حددها الشرع بدقة وصرامة. وهي من حقوق الله تعالى، ولا تسقط بالعفو ولا بالصلح.

التعزيرات: وهي عقوبات تأديبية يفرضها القاضي على جناية أو معصية لا حد فيها.

ثالثاً: الجزاء الإلهي:

قد يكون الجزاء الإلهي معجلاً في الدنيا، ومن أمثلته من كتاب الله: ((وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)).وقد يمتد أو يؤجل الجزاء الإلهي إلى الآخرة ، قال تعالى: ((أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون)).

المحاضرة السابعة

صور من أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم

– تفضل الله تعالى على خليله محمد (صلى الله عليه وسلم) بتوفيقه للاتصاف بمكارم الأخلاق ؛ و ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.ثم أثنى عليه ونوه بذكر ما يتحلى به من جميل الصفات في آيات كثيرة من كتاب الله العزيز ، من ذلك قوله تعالى: ((وإنك لعلى خلق عظيم)) . قد أخبر سبحانه في هذه الآية الكريمة عما كان عليه المصطفى من أخلاق فاضلة ووصف خلقه صلى الله عليه وسلم بأنه عظيم.

و أكد ذلك بثلاثة أشياء :

أ. بالأقسام عليه بالقلم وما يسطرون.

ب. وتصديره بأن.

ج. وإدخال اللام على الخبر.

و كلها من أدوات تأكيد الكلام.

وقد نوه سبحانه بما جبل نبيه عليه (صلى الله عليه وسلم) من الرحمة والرأفة بالمؤمنين والحرص على ما ينفعهم في دينهم وأخراهم، والتألم من كل ما يشق عليهم بقوله سبحانه ممتنا على المؤمنين بإرساله: ((لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)).

ولما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي (صلى الله عليه وسلم) ، قالت : (كان خلقه القرآن) صحيح مسلم.

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره : ومعنى هذا أنه (صلى الله عليه وسلم) صار امتثال القرآن أمراً ونهياً سجيةً له وخلقاً . فمهما أمره القرآن فعله ومهما نهاه عنه تركه، هذا ما جبله الله عليه من الخُلق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خُلقٍ جميل. ا.هـ

– و فيما يأتي نستعرض جوانب من أخلاق المصطفى صلى الله عليه وسلم، لعلها تكون نبراساً لنا في حياتنا، فنقتدي بها، ونتخلق بمثلها :

أولاً : صبر النبي صلى الله عليه وسلم :

حكم الصبر : ينقسم إلى خمسة أقسام :

– القسم الأول : صبر واجب : كالصبر على الطاعات، والصبر عن المحرّمات، والصبر على المصائب التي لا صنع للعبد فيها: كالأمراض، والفقر، وفقد الأنفس والأموال وغيرها.

– القسم الثاني : صبر مندوب : كالصبر عن المكروهات، والصبر على المستحبات.

– القسم الثالث : صبر محرم : كالصبر على المحرّمات : كمن يصبر عن الطعام والشراب حتى يموت أو يصبر على ما يهلكه من سبع أو حية.

– القسم الرابع : صبر مكروه : كمن يصبر عن الطعام والشراب حتى يتضرر بذلك بدنه.

– القسم الخامس : صبر مباح : وهو الصبر عن كل فعلٍ مستوي الطرفين خُيِّر بين فعله وتركه، كمن يصبر عن الطعام والشراب مدة يسيرة.

– أنواع الصبر :

1 . الصبر على طاعة الله : الطريق إلى الله تعالى مليئة بالعوائق؛ لأن النفس بطبعها تنفر من القيود، والعبودية لله قيد لشهوات النفس ؛ ولذلك فالنفس لا تستقيم على أمر الله بيسر وسهولة ، فلابد من ترويضها، وكبح جماحها، وهذا يحتاج إلى اصطبار.

2 . الصبر عن المعاصي والمحرمات : فإن كان مما يتيسر فعله كمعاصي اللسان من الغيبة والكذب والمراء، كان الصبر عليه أثقل.

3 . الصبر على المصائب وأقدار الله المؤلمة : لا أحد يسلم من آلام النفس، وأمراض البدن، وفقدان الأحباء ، وخسران المال. وهذا ما لا يخلو منه بَرٌّ ولا فاجر، ولا مؤمن ولا كافر، ولكن المؤمن يتلقَّى هذه المصائب برضىً وطمأنينة.

– ثم إنه للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) مواقف في الدعوة إلى الله تدل على صبره، ورغبته فيما عند الله تعالى ، أذكر منها :

أ . اتَّهموا النبيَّ (صلى الله عليه وسلم) بالجنون، والسحر، والكذب والكهانة، والنبي (صلى الله عليه وسلم) ثابت صابر محتسب يرجو من الله النصر لدينه، وإظهاره.

ب . عن سهل بن سعد (رضي الله عنه) أنه سُئلَ عن جرح النبي (صلى الله عليه وسلم) يوم أحد فقال : جُرِحَ وجه النبي (صلى الله عليه وسلم) – وكُسِرَت رباعيته، وهُشِمَت البيضة على رأسه، فكانت فاطمة رضي الله عنها تغسل الدم، وعليٌّ (رضي الله عنه) يمسك، فلما رأت الدم لا يرتد إلا كثرة أخذت حصيراً فأحرقته حتى صار رماداً، ثم ألزقته فاستمسك الدم.

ج . عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي (صلى الله عليه وسلم) حدثته أنها قالت للنبي (صلى الله عليه وسلم): ((هل أتى عليك يوم كان أشدّ من يوم أحد؟ قال: "لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على بن عبد ياليل بن عبد كُلال، فلم يُجبني إلى ما أردت، فانطلقتُ، وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل"، فنادى فقال: ((إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردّوا عليك، وقد بعث الله إليك مَلَك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: ((يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين)) فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): "بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم مَن يعبده وحده لا يشرك به شيئاً"

فانظر إلى صبر النبي (صلى الله عليه وسلم) و حلمه، الدم يسيل من عقبيه الشريفين، ويسأله ملَك الجبال إن كان يريد أن يطبق عليهم الأخشبين يفعل، ومع ذلك يتضرع إلى الله سبحانه، ويدعوه أن يخرج مِنْ أصلابهم مَنْ يعبده وحده، لا يشرك به .

– ثانياً :شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم :

لاشك أن الشجاعة صبر في ساحات القتال والوغى، وفيها ضبط النفس عن مثيرات الخوف حتى لا يجبن الإنسان في المواضع التي تحسن فيها الشجاعة ويقبح فيها الجبن ويكون شرًا، ومن هذه الأمثلة يجد الإنسان أن النبي صلى الله عليه وسلم خير قدوة وخير مثال في ذلك؛ ولهذا جاهد في سبيل الله: بالقلب، واللسان، والسيف، والسنان، والدعوة والبيان، وقد أرسل ستًا وخمسين سرية، وقاد بنفسه سبعًا وعشرين غزوة، وقاتل بنفسه في تسع من غزواته.

– الفرق بين الشجاعة والقوة :

كثير من الناس تشتبه عليه الشجاعة بالقوة وهما متغايران، فإن الشجاعة هي ثبات القلب عند النوازل وإن كان ضعيف البطش.

وكان الصديق رضي الله عنه أشجع الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عمر وغيره أقوى منه، ولكن برز على الصحابة كلهم بثبات قلبه في كل موطن من المواطن التي تزلزل الجبال ، وهو في ذلك ثابت القلب ، ربيط الجأش، يلوذ به شجعان الصحابة وأبطالهم، فيثبتهم، ويشجعهم .

– و من صور شجاعته صلى الله عليه وسلم :

عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قال : ((لقد رأَيْتُنَا يوم بدر، ونحن نلوذ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأسا)).

و عنه (رضي الله عنه) قال : « كنا إذا حمي البأس، ولقي القومُ القومَ اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يكون أحدنا أدنى إلى القوم منه ».

3 . عن أنس (رضي الله عنه) قال : « كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق الناس قِبَلَ الصوت، فاستقبلهم النبي صلى الله عليه وسلم قد سبق الناس إلى الصوت، وهو يقول: "لم تراعوا، لم تراعوا" وهو على فرس لأبي طلحة عري ما عليه سرج، في عنقه سيف، فقال: "لقد وجدته بحرًا، أو إنه لبحر » .

4 . قال العباس بن عبد المطلب (رضي الله عنه) : لما التقى المسلمون والكفار يعني في حنين و ولى المسلمون مدبرين ، طفق الرسول صلى الله عليه

وسلم يركض بغلته نحو الكفار ، وأنا آخذ بلجامها أكفها لإرادة ألا تسرع ، وكان يقول حينئذ: " أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب ".

– ثالثاً : عفو النبي صلى الله عليه وسلم :

كمال الإنسان أن يعفو عمن ظلمه، والعفو إنما يكون عند القدرة على الانتقام، فأنت تعفو مع قدرتك على الانتقام لأمور :

أ . رجاء لمغفرة الله عز وجل ورحمته فإن ممن عفا وأصلح فأجره على الله .

ب . لإصلاح الود بينك وبين صاحبك.

– الفرق بين العفو والصفح :

الصّفح والعفو متقاربان في المعنى، إلّا أنّ الصّفح أبلغ من العفو فقد يعفو الإنسان ولا يصفح، وصفحت عنه: أوليته صفحة جميلة.

– و من صور عفوه صلى الله عليه وسلم :

1 . عفوه عن أبي سفيان الذي فعل ما فعل، وأدمى كبد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في أُحُد، وحزَّب الأحزاب يوم الخندق ضد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وناصر القبائلَ ضده، وعلى الرغم من كل ذلك يعفو عنه النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) يوم فتح مكة، بل يمنُّ عليه بما يفخر به، وما كان يطمع في أكثر من أن يَهَب له حياته، ولا يضرب عنقه، جزاء ما آذى به المسلمين، ولكن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وسلم) يمنحه العفوَ وزيادة؛ إذ يقول: ((من دخل دار أبي سفيان فهو آمِن)).

2 . ويتجلَّى العفوُ عند المقدرة في أروع صوره يوم فتح مكة، حينما دخلها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) منتصرًا، وجلس في المسجد والناس حوله والعيون شاخصة إليه ينتظرون ما هو فاعل اليوم بمشركي قريش الذين آذَوْه وأخرجوه من بلده وقاتلوه، والآن هم أمامه لا ملجأ لهم ولا منجى؛ فتظهر مكارمُ أخلاقه، ويظهر عفوه؛ حيث قال (صلى الله عليه وسلم) : ((اذهبوا فأنتم الطُّلَقاء)).

3 . عفوه (صلى الله عليه وسلم) عن لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سَحَر النبيَّ (صلى الله عليه وسلم) فعفا عنه ولم يعاقبه، وإنما اكتفى (صلى الله عليه وسلم) بقوله : ((شفاني اللهُ، وكرهت أن أُثير شرًّا)) .

4 . وعفوه عن اليهودية التي أهدته الشاةَ المسمومة.

المحاضرة الثامنة

تابع صور من أخلاق النبي (صلى الله عليه وسلم)

– رابعاً : تواضع النبي (صلى الله عليه وسلم) :

1 . لقد كانت سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) العملية مثالاً حياً فذاً في التواضع، وخفض الجناح، ولين الجانب، وسماحة النفس، حتى إنه كان ليمر على الصبيان يلعبون، فلا تحجبه النبوة والمنزلة العظمى التي خصه الله بها من بين الناس جميعاً من أن يسلم على أولئك الصبيان، ويهش لهم، ويتبسط معهم . فقد ذكر أنس (رضي الله عنه) أنه مر على الصبيان فسلم عليهم، وقال : ((كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يفعل ذلك)).

2 . ويروي أنس (رضي الله عنه) من تواضع النبي (صلى الله عليه وسلم) أن الأمة من إماء المدينة كانت تأخذ بيد النبي (صلى الله عليه وسلم) فتنطلق به حيث شاءت، يقضي لها حاجتها.

3 . ((لو دعيت إلى ذراع أو كراع لأجبت ، ولو أهدي إلي ذراع أو كراع لقبلت)).

– صور من أخلاق أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) :

حرص الصحابة (رضوان الله عليهم) على التزام آداب ومبادئ مهمة كان لها عظيم الأثر في حسن الحفظ وتمام الضبط وقدرتهم في تبليغ دعوة الله للناس، ومن هذه الآداب والأخلاق:

–أولاً : الإنصات التام وحسن الاستماع :

فقد كان رسول الله (صلى الله عليه و سلم) أجل في نفوس الصحابة وأعظم من أن يلغوا إذا تحدث، أو ينشغلوا عنه إذا تكلم، أو يرفعوا أصواتهم بحضرته، وإنما كانوا يلقون إليه أسماعهم ويشهدون عقولهم وقلوبهم، ويحفزون ذاكرتهم .

فعن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) في الحديث عن سيرته صلى الله عليه وسلم في جلسائه قال : « ... وإذا تكلم أطرق جلساؤه، كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا ... »

– ثانياً : ترك التنازع وعدم مقاطعة المتحدث حتى يفرغ :

وهذا من تمام الأدب، المفضي إلى ارتياح جميع الجالسين، وإقبال بعضهم على بعض، والمعين على سهولة الفهم، والتعلم.

ففي حديث علي بن أبي طالب(رضي الله عنه) قال: (لا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث أولهم ..).

– ثالثاً : ترك التنطع وعدم السؤال عن المتشابه :

وذلك تطبيقاً لتحذير النبي (صلى الله عليه و سلم) من ذلك وتشديده على المتنطّعين، نهيه عن مجالستهم .

فعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: تلا رسول الله (صلى الله عليه و سلم) هذه الآية: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الأَلْبَابِ) فقال رسول الله (صلى الله عليه و سلم) : « فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم»

– رابعاً : يؤثرون على أنفسهم .

الإيثار : أن يقدم غيره على نفسه في النفع له والدفع عنه.

فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رجلاً أتى النبي (صلى الله عليه و سلم) فبعث إلى نسائه فقلن: ما معنا إلا الماء فقال رسول الله (صلى الله عليه و سلم) : « من يضم أو يضيف هذا »، فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله (صلى الله عليه و سلم) ،

فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني، فقال: هيئي طعامك، وأصبحي سراجك ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء، فهيأت طعامها، وأصبحت سراجها، ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلا يريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين فلما أصبح غدا إلى رسول الله (صلى الله عليه و سلم) ، فقال: «ضحك الله الليلة، أو عجب، من فعالكما» فأنزل الله: {ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون}.

– خامساً : علو همتهم في طلب العلم :

الصحابة (رضي الله عنهم) قد ضربوا لنا أروع الأمثلة في الهمة العالية في طلب العلم، وإليك بعضًا من النماذج :

1 . عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: يقولون: إن أبا هريرة يكثر الحديث، والله الموعد، ويقولون: ما للمهاجرين والأنصار لا يحدثون مثل أحاديثه؟ وإنَّ إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخوتي من الأنصار كان يشغلهم عمل أموالهم، وكنت امرأ مسكينًا ألزم رسول الله (صلى الله عليه و سلم) على ملء بطني، فأحضر حين يغيبون، وأعي حين ينسون .

وقال النبي (صلى الله عليه و سلم) يوماً : ((لن يبسط أحد منكم ثوبه حتى أقضي مقالتي هذه، ثم يجمعه إلى صدره فينسى من مقالتي شيئًا أبدًا)) ، فبسطت نمرة ليس علي ثوب غيرها، حتى قضى النبي (صلى الله عليه و سلم) مقالته، ثم جمعتها إلى صدري، فو الذي بعثه بالحق، ما نسيت من مقالته تلك إلى يومي هذا، والله لولا آيتان في كتاب الله، ما حدَّثتكم شيئًا أبدًا : ((إن الذين يكتمون ... الرحيم)).

2 . عن ابن عباس(رضي الله عنه) قال: (لما قبض رسول الله (صلى الله عليه و سلم) قلت لرجل من الأنصار: هلم فلنسأل أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و سلم) فإنهم اليوم كثير، فقال: واعجبًا لك يا ابن عباس! أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و سلم) من فيهم؟ قال: فتركت ذاك وأقبلت أسأل أصحاب رسول الله(صلى الله عليه و سلم) ، وإن كان يبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه وهو قائل فأتوسد ردائي على بابه يسفي الريح علي من التراب، فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عم رسول الله (صلى الله عليه و سلم) ما جاء بك ؟ هلّا أرسلت إليّ فآتيك ؟ فأقول: لا، أنا أحقُّ أن آتيك، قال: فأسأله عن الحديث، فعاش هذا الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي يسألوني، فيقول: هذا الفتى كان أعقل مني) .

– سادساً : القناعة والرضا باليسير:

لقد سار صحابة رسول الله (صلى الله عليه و سلم) ، على ما كان عليه واتبعوا آثاره، وتخلقوا بأخلاقه، وعاشوا التقشف والزهد في أول أمرهم نظراً لقلة ذات اليد، ثم انتشر الإسلام وجاءتهم الغنائم وفتح الله عليهم، فلم تؤثر هذه الأموال التي اكتسبوها من الغنائم على زهدهم، بل استمروا على ما هم فيه من قناعة وتقشف .

– و هنا نذكر بعض النماذج من قناعة الصحابة وبعدهم عن الطمع :

1 . عن عائشة قالت: (من حدثكم أنا كنا نشبع من التمر فقد كذبكم فلما افتتح (صلى الله عليه و سلم) قريظة أصبنا شيئاً من التمر والودك).

2 . عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: (لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة ما منهم رجلٌ عليه رداءٌ، إما إزارٌ وإما كساءٌ، قد ربطوا في أعناقهم، فمنها ما يبلغ نصف الساقين، ومنها ما يبلغ الكعبين، فيجمعه بيده، كراهية أن ترى عورته) .

– سابعاً : تعاملهم مع الغضب :

روي أن رجلاً قال لعمر : إنك لا تقضي بالعدل، ولا تعطي الحق. فغضب واحمر وجهه، قيل له: يا أمير المؤمنين، ألم تسمع أن الله يقول: خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وهذا جاهل، فقال: صدقت، فكأنما كان ناراً فأطفئت.

أسمع رجل أبا الدرداء (رضي الله عنه) كلاما ، فقال: يا هذا لا تغرقن في سبنا ودع للصلح موضعا فإنا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه .

المحاضرة التاسعة

تعريف المهنة، وذكر الألفاظ القريبة والمرادفة لها

– تعريف المهنة : لغة : الحذق بالخدمة والعمل. يقال: كان في مهنة أهله، أي: في خدمتهم. وخرج في ثياب مهنته، أي: في ثياب خدمته التي يلبسها في أشغاله وتصرفاته. وقد خُصِّصت في الاصطلاح المعاصر : بمجموعة الأعمال والمهارات التي يقوم بها الفرد، مرتبطة بنظام معرفي أكاديمي متخصص، ونظام مهاري سلوكي.

أو : هي عملٌ راقٍ يجمع بين المعرفة الأكاديمية المتخصصة، والخبرة التطبيقية لها في الميدان. كالطب، والهندسة، والتدريس، والمحاسبة، والقضاء.

– الألفاظ القريبة والمرادفة لمعنى المهنة : هناك ألفاظ قريبة أو مرادفة لمعنى المهنة، اذكر منها :

– الحرفة : وتطلق في العرف المعاصر على الأعمال اليدوية التي تحتاج إلى تدريب قصير، سواءٌ أكان العمل بآلة أم بغير آلة.

– الوظيفة : كيان نظامي يتضمن مجموعة من الواجبات والمسؤوليات توجب على شاغلها التزامات معينة، مقابل تمتعه بالحقوق والمزايا الوظيفية.

– العمل : ما يقوم به الإنسان من نشاط إنتاجي في وظيفة أو مهنة أو حرفة .

– فكل جهد وعمل مادي أو معنوي أو مؤلف منهما معاً يعد عملاً في نظر الإسلام، فعامل المصنع ومديره، والموظف في الدولة، والتاجر، وصاحب الأرض، والطبيب، والمهندس، كل هؤلاء عمال.

– والذي يظهر أن هناك فرقاً بين العمل والمهنة فكل مهنة عمل وليس كل عمل مهنة؛ لأن المهنة تقتضي الإتقان والمعرفة الدقيقة بخلاف العمل ، فقد يعمل الإنسان في عمل لا يتقنه فلا يمكن أن نسميه ممتهناً له حتى يتقنه إلا أن يتجوَّز في ذلك .

– أهمية العمل في الإسلام :من أهم الأمور التي توضح أهمية العمل في الإسلام ما يأتي :

1 – أن الله تعالى امتن على عباده بأن جعل لهم الأرض مذللة ومنبسطة؛ ليستفيد من فيها بما فيها ويعملوا ليحصلوا الكفاية.

قال الله تعالى: ((هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَ إِلَيْهِ النُّشُورُ)).

2– أن الله قصّ علينا في كتابه الكريم أحوال الأنبياء عليهم السلام الذين كانوا يحرصون على طلب الرزق والعمل، من أجل كسب الحاجات الأساسية، و من أمثلة ذلك :

أ. موسى عليه الصلاة والسلام الذي رعى الغنم على رجل مدين، فقال الله تعالى : ((قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ)).

ب. كذلك نبي الله داود عليه الصلاة والسلام الذي كان يعمل صانعاً للدروع من أجل بيعها. فقال الله تعال عنه: ((وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ هَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ)).

وفيه إشارة إلى أن كل أحد لا ينبغي أن يتكبّر عن كسب يده؛ لأن نبي الله مع علو درجته اختار هذه الحرفة ، فلو كان الرزق يتأتى بدون عمل لجلس هؤلاء الأنبياء عليهم السلام، وأتاهم رزقهم وهم في بيوتهم.

ج. رسولنا محمد (صلى الله عليه وسلم) الذي عرف أهمية العمل منذ صغره فعمل راعياً للأغنام عند مشركي مكة، وكذلك عاملاً في التجارة مع خديجة بنت خويلد (رضي الله عنه)

3– أن الله تعالى حث على السعي والعمل، وابتغاء الرزق، ألا ترى إلى قوله تعالى لمريم : ((وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا)) .لو شاء لأسقط عليها الرطب من غير هز الجذع؛ ولكنه تعالى أراد أن يجعل لكل شيء سبباً: فجعل سبب الرزق: السعي والدأب.

4– إن طرق كسب المال كثيرة كالوراثة والهبة والصدقة؛ وكالاشتغال في عمل حكومي يتقاضى في نظيره أجراً؛ وكالتجارة والزراعة والصناعة، وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن خير طعام يأكله المرء ما كان من عمل يده، فالذي يشتغل بيده، ويكدح ببدنه ويستجدي الرزق من عرق جبينه ويأكل من إنتاجه خير ممن

يأكل من تركة موروثة، أو هبة مبذولة، أو صدقة تعطى له.

فعن المقدام رضي الله عنه عن النّبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (ما أكل أحد طعاماً قطّ خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإنّ نبيّ الله داود عليه السّلام كان يأكل من عمل يده).

لقد ذكر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده إذ كان يصنع الدروع الحربية، وقد سخر الله له الجبال والطير والحديد، ومع ذلك لم يستنكف من العمل بيده.

ثم إن الحكمة في تخصيص داود بالذكر كما ذكر بعض العلماء هي: أن اقتصاره في أكله على ما يعمله بيده لم يكن من الحاجة لأنه كان خليفة في الأرض كما قال الله تعالى وإنما ابتغى الأكل من طريق الأفضل.

شروط العمل في الإسلام

– شروط العمل في الإسلام :

– الشرط الأول : أن يكون العمل مشروعًا :

يجب أن يكون العمل بذاته والهدف منه غير محرم شرعاً، فالطيب الحلال هو الأساس الذي يقوم عليه طلب الرزق .

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}، وقال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ}.

و لأن الكسب المباح هو الذي يبارك للإنسان فيه، قال (صلى الله عليه وسلم) : (من يأخذ مالاً بحقّه يبارَك له فيه، ومن يأخذ مالاً بغير حقه فمثله كمثل الذي يأكل ولا يشبع).

– فبناء على ما سبق يحرم ما يأتي :

أ. التعامل بالربا : لأنه محرم لقوله سبحانه: {يَمْحَقُ اللَّهُ الْرِّبَا}، وعن جابر قال: ((لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ آكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَيْهِ وَقَالَ هُمْ سَوَاءٌ)).

ب. اكتساب المال بالغش : كالتطفيف في الكيل ونحوه، قال سبحانه: {وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ. الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ. وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ}

ج. كما أنّ الإسلام حرَّم كلّ عملٍ من شأنه إهلاكُ العامل أو إلحاق الضرر به، وذلك وفق قاعدة "لا ضرر ولا ضرار".

– و يمكن أن تكون الوظيفة مشتملةً على الحلال والحرام، من خلال رأس مالها، أو بعض أنشطتها، وفي هذه الحالة تكون مشتبهة، والعمل فيها مكروه، لقوله صلى الله عليه وسلم: (إن الحلال بيِّن وإن الحرام بيِّن، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثيرٌ من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحِمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه).

– و خلاصة آراء الفُقَهاء في مشروعيَّة العمل والكسب الحلال : أنَّ عمل المسلم وكسبه يجب أنْ يكونَا من وجهٍ مشروع، فعلى المسلم أنْ يتحرَّى وجوه العمل والكسب قبل الإقدام عليها، فإنْ وجدَه عملاً حَلالاً طيبًا عمل فيه، وإنْ كان عملاً مشبوهًا أو غلب عليه الحرام فعليه اجتنابه.

– الشرط الثاني : إبرام عقدٍ للعمل :

شرع الإسلام إبرامَ عقدٍ للعمل بين العامل وربِّ العمل، يتمُّ الاتِّفاق فيه على أمورٍ مهمَّة جدًّا، تَضمَن تحقيق العدل بين طرفي العقد، واجتناب التنازُع والخصام بينهما، وهي:

أ– بيان نوع العمل وحجمه. ب– بيان المدَّة أو الزمن المشروط للعمل. ج– تحديد أجرة العمل.

والحكمة من الأمر بالوفاء بالعقد هنا ترجع إلى أنَّ العقد شريعة المتعاقدين فيما لا يُخالف الشرع ، فهو الضابط الذي يَحكُم العلاقة بين الطرفين، ويجعَلُها تسير في طريقٍ مأمون العثار، وهو الذي يحدِّد حقوق وواجبات كلٍّ منهما تحديدًا واضحًا، فتبقى العلاقة بينهما في إطارها الأخلاقي الصحيح .

– الشرط الثالث : ألا تستلزم خلوةً بين الرجل والمرأة :

حرصاً من الشريعة الإسلامية على الحفاظ على الأعراض والأنساب والعفاف شُرِع غضّ البصر، وعدم سفر المرأة وحدها دون محرم، وعدم تبرُّج المرأة أمام الرجال، وعدم الخلوة بين الرجل والمرأة، لقوله (صلى الله عليه وسلم) : (لا يخلونّ رجلٌ بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان).

وسبب هذا أن الخلوة وسيلةٌ للاتصال المحرم بينهما، والوسائل لها أحكام المقاصد والغايات.

وأماكن العمل من المظانّ التي يكثر فيها الاختلاط بين الجنسين كالمستشفيات، لذا فإن المسلم يحرص على التورُّع عن الخلوة المحرَّمة منعاً للفتنة، وسدّاً للذريعة، وحفاظاً على العفة والسُّمعة، ودرءاً لإساءة الظن.

– الشرط الرابع : إسناد العمل إلى مَن تَتوافَر فيه الكفاية له :

يوجِّه الإسلام إلى عدَم إسناد العمل إلا لِمَن تتوافَر فيه الأهليَّة والكفاءة لهذا العمل.

يقول تعالى على لسان يوسف (عليه السلام) : ﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: 55]، فعبَّر بقوله: "إني حفيظ عليم" عن توافر الكفاءة فيه لتولّي خزائن أرض ملك مصر.

ويقول سبحانه على لسان ابنة الرجل الصالح شعيب حين طلبت من أبيها استئجار نبيِّ الله موسى (عليه السلام): ﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ [القصص: 26] ، فعبَّرت بقولها: "القوي الأمين" عن توافر الكفاءة فيه للعمل عند أبيها في رعي الماشية والقيام على شؤونها.

ولَمَّا طلب أبو ذرٍّ (رضي الله عنه) من النبي (صلى الله عليه وسلم) أنْ يستعمِلَه في الولاية ضرَب بيده على منكبه ثم قال: ((يا أبا ذرٍّ، إنَّك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزيٌ وندامة، إلاَّ مَن أخَذَها بحقِّها وأدَّى الذي عليه فيها)).

المحاضرة العاشرة

خُلُق الأمانة المهنية

– تعريف الأمانة :

الأمانة لغةً : ضِدُّ الْخِيَانَة، ومعناها؛ الاطمئنان وسكون القلب. و الأَمْنُ : ضِدُّ الْخَوْف.

و في الاصطلاح : عُرِّفت بأنها: " كلُّ ما يُؤتمن عليه المرءُ من أموال وحرمات وأسرار ". وعُرِّفت بأنها : "خُلُقٌ ثابتٌ في النّفس يَعفُّ به الإنسان عَمّا ليس له به حقٌ –وإنْ تَهيّأت له ظروفُ العدوان عليه دون أن يكون عُرْضةً للإدانة عند النّاس (ويؤدّي به ما عليه أو لديه من حقٍ لغيره –وإنْ استطاع أنْ يَهضمَه دون أن يكون عُرْضةً للإدانة عند النّاس) ".

– فالأمانة تشتمل على ثلاثة عناصر :

الأوّل : عِفّة الأمين عمّا ليس له به حقٌ.

الثّاني : تأدية الأمين ما يجب عليه من حقٍ لغيره.

الثّالث : اهتمام الأمين بحفظ ما استؤمن عليه من حقوق غيره، وعدم التّفريط بها.

وهذه العناصر الثلاثة مطلوبة في المهنة، إلا أن الأول منها تناولناه تحت عنوان النزاهة والشفافية، ويبقى الآخران، وهما ما عليه مدار حديثنا في هذه

– إذاً فالأمانة تعني الحفاظ على أسرار المهنة، والحفاظ على مصالحها، والحفاظ على حقوق الآخرين وعدم الخيانة فيها :

فأما الحفاظ على أسرار المهنة فيكون بالحفاظ على خصوصية العلاقة بين أطراف المهنة بحسب طبيعة المهنة، والحفاظ على كل ما يعرف عند الناس بأنه إفشاءَه نقضٌ للعهد، وخيانةٌ لأسرار المهنة.

فالطبيب مثلاً يطالب بالحفاظ على أسرار المشفى، وأسرار مرضاه، ووضعهم الصحي، مما يُعد سراً في عرف المهنة، فيمتنع عن اطلاع الآخرين عليها.

والمشفى يحتفظ بالأسرار المتعلقة بالطبيب من حيث مُرَتبه أو الجزاءات الإدارية الواقعة عليه مثلاً، وكذا الأسرار المتعلقة بالمريض مما يعد كشفه إفشاءً لأسراره.والمريض يحتفظ بالأسرار المتعلقة بالمشفى كمراعاة ظروفه الخاصة، والأسرار المتعلقة بالطبيب كأن يكون قد سمح له بمراجعته في بيته أو خارج أوقات الدوام الرسمي، أو غير ذلك مما يعد إفشاؤه مزعجاً للطبيب.

وأما عدم الخيانة في المهنة فيتمثل في الحفاظ على مصالحها، وذلك بأن لا يقدم مصالحه الشخصية على مصالحها؛ فلا إسراف في الإنفاق، ولا استغلال للمهنة من أجل مصالحه.

فالطبيب مثلاً لا يستغل ما وضع تحت تصرفه من الأجهزة في سبيل معالجة أصحابه وقرابته من غير إذن صاحب العمل، كما أنه لا يسرف في استعمال الأدوات الطبية التي وضعت تحت تصرفه.

والمشفى لا يستغل الطبيب في طلبه خارج أوقات دوامه في سبيل مصالحها.

والمريض لا يستغل فرصة وجوده مع الطبيب في السؤال عن أعراض مرضية يعاني منها بعض من يخصونه ... وهكذا.

وأما الحفاظ على حقوق الآخرين فتتمثل في عدم غشهم، أو خداعهم، أو التنكر لأماناتهم التي استودعوها إياه.

– الأدلة الشرعية في الحث على الأمانة المهنية :

يدل خُلُق الأمانة آياتٌ عديدةٌ من كتاب الله وسنة رسول الله ، منها :

1– قوله تعالى: {إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} (النساء 58). وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (الأنفال 27).

فالآية الأولى تتناول الجانب الإيجابي في الأمانة، فتأمر بالحفاظ عليها، وأدائها على وجهها المطلوب، و الثانية تتناول الجانب السلبي فيها، فتنهى عن الخيانة فيها، وهو ما يعني أيضاً أداءها على الوجه المطلوب.

ولا يخفى أن الأمانة المهنية تمثل جانباً مهماً من الأمانات المأمور بها. يقول القرطبي رحمه الله: هَذِهِ الْآيَةُ {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ} مِنْ أُمَّهَاتِ الْأَحْكَامِ تَضَمَّنَتْ جَمِيعَ الدِّينِ وَالشَّرْعِ. وَالْأَظْهَرُ أَنَّهَا عَامَّةٌ فِي جَمِيعِ النَّاسِ فَهِيَ تَتَنَاوَلُ الْوِلَاةَ فِيمَا إلَيْهِمْ مِنَ الْأَمَانَاتِ فِي قِسْمَةِ الْأَمْوَالِ وَرَدِّ الظُّلَامَاتِ وَالْعَدْلِ فِي الْحُكُومَاتِ. وَتَتَنَاوَلُ مَنْ دُونَهُمْ مِنَ النَّاسِ فِي حِفْظِ الْوَدَائِعِ وَالتَّحَرُّزِ فِي الشَّهَادَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ".

2- قال تعالى: {وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ* إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا} (التحريم: 3).

وجه الدلالة في الآية أن الله سبحانه عَرَّضَ بملامة إحدى أزواج النبي على إفشائها ما أسَرَّ به إليها، وعَدَّه من موجبات التوبة.

3- قال رسول (صلى الله عليه وسلم) في صفات المنافقين : (آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ). فعَدَّ خيانة الأمانة من علامات النفاق).

4- قال : (مَنْ حَدَّثَ فِي مَجْلِسٍ بِحَدِيثٍ فَالْتَفَتَ، فَهِيَ أَمَانَةٌ). أي أنه لا يجوز نقل كلام شخص وإفشاؤه، وإن لم يطلب كتمانه صراحة، أو يقل: هذه أمانة، بل يكفي أن يفهم منه ذلك بمجرد الإشارة؛ كالالتفاتة التي تشير إلى أن صاحبها يريد أن يخفي الخبر.

5- وصف الله المؤمنين المفلحين في كتابه العزيز بأوصاف كثيرة، من جملتها مراعاة الأمانة، فقال سبحانه: {وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ} (المعارج 8).

والأدلة في الحث على الأمانة كثيرة جداً، وفي هذا القدر كفاية.

- صور وتطبيقات للأمانة المهنية :

ذكر الفقهاء أن التحلي بخُلُق الأمانة من الضرورات المطلوبة لتولي المناصب أو تحمل المسؤوليات في الأمة، كالإمارة والقضاء والحسبة والإفتاء والولاية على اليتيم وعلى الصدقات (بيت المال) والوقف ...

- و فيما يلي نستعرض بعض النماذج :

1- طلب أبو ذَرٍّ من النبي أن يوليه الإمارة، قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: (يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةُ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا). فامتنع أن يوليه، لأن التولية أمانةٌ في عنقه، ويجب أن يستعمل فيها من يراه أهلاً لأدائها، وأبو ذرٍ رجلٌ ضعيف لا يصلح لها.

2- جاء أعرابي إلى النبي فسأله متى الساعة؟ قال : (إذا ضيّعت الأمانة فانتظر السّاعة). قال: كيف إضاعتها؟ قال: (إذا وسّد الأمر إلى غير أهله فانتظر السّاعة).فجعل رسول الله تولية غير الكفء في المنصب خيانةً للأمانة، وعلامة على فساد الأحوال، وقرب قيام الساعة.

3- لما أُتي عمر بتاجِ كسرى وسواره، جعل يُقلبهما بعودٍ في يده ويقول : والله إن الَّذي أدّى هذا لأمين! فقالَ رجل: يا أمير المؤمنين، أنت أمين الله، يؤدون إليك ما أدّيت إلى الله، فإذا رتعت رتعوا. ثم قَامَ عمر فِي النَّاس خطيباً فكان مما قال: "أَلا وَإِنِّي مَا وجدت صَلَاح مَا وَلَّانِي اللهُ إِلَّا بِثَلَاث: أَدَاء الْأَمَانَة، وَالْأَخْذ بِالْقُوَّة، وَالْحكم بِمَا أنزل الله".

4- عندما أراد أبو بكر وعمر (رضي الله عنهما) جمع القرآن بعثا إلى زيد بن ثابت فقال له أبو بكر (... إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لاَ نَتَّهِمُكَ، قَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الوَحْيَ لِرَسُولِ اللهِ فَتَتَبَّعِ الْقُرْآنَ فَاجْمَعْهُ). ومعنى قولك لا نتهمك: أي أنك أمين. ومن هنا قال عامة أهل العلم بأنه ينبغي للسلطان والحاكم أن يتخذ كاتباً عاقلاً فطناً أميناً. وهكذا قالوا: في القاضي أيضاً والمحتسب والوصي وأهل المشورة وغيرهم ممن يوكل إليهم أمرٌ من أمور الناس. قَالَ سيدنا عَلِيٌّ : "حَقٌّ عَلَى الْإِمَامِ أَنْ يَحْكُمَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَيُؤَدِّيَ الْأَمَانَةَ فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَحَقٌّ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَسْمَعُوا لَهُ وَيُطِيعُوا وَيُجِيبُوا إِذَا دُعُوا".

5- ومن صور الأمانة التي تتجلى في أخلاق التجّار ما ذكره فقهاؤنا في (بيوع الأمانة)، وهي البيوع التي يؤتمن فيها البائع على إخباره برأس مال السلعة، بأن يقول المشتري للبائع: اشتريت منك هذه السلعة بالثمن الذي اشتريتها به (وتسمى تولية)، أو بما اشتريتها به وزيادة كذا (وتسمى مرابحة)، أو بنقصان كذا (وتسمى وضيعة).

6- ومن صور الأمانة التي ذكرها فقهاؤنا أيضاً وتتعلق بأخلاق التجَّار الامتناع عن الغش والخداع في المهنة لقوله(صلى الله عليه وسلم): (مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا).

- و من صور الغش :

التدليس بما يوهم سلامة المبيع كما في قصة مرور النبي بصُبرة طعام فأدخل يدَه فيها، فأصابَها البللُ، فقال(صلى الله عليه وسلم): (ما هذا يا صاحِبَ الطَّعَامِ؟) قال: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: (أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي).

التغرير بإظهار أوصاف مرغوبة في المبيع إيهاماً وخداعاً للناس، كما في التصرية، وهي: ترك حلب الدابة مدة من الزمن، حتى يجتمع قدرٌ كبيرٌ من الحليب في ضرعها، فيتوهم الراغب أنها كثيرة اللبن، فيقدم على شرائها، فيقع ضحية تغريره وخداعه.وقد حرَّم الشرعُ هذا العمل وعدَّه من الخداع والغش، والإخلال بالأمانة. قال (صلى الله عليه وسلم : (لا تَصُرُوا الإبل والغنم).

ويلحق بهذا كل عمل من شأنه خداع الآخرين وإغراؤهم بالشيء، كأن يستخدم أصباغاً خادعةً تخفي حقيقة وضع السلعة، أو نكهات تخفي حقيقة الطعم الأصلي لها، أو أنواعاً من زيوت المحركات لإخفاء وضع محرك السيارة ساعة من الزمن حتى يتم بيعها، وهكذا.. وهذا كله تدليسٌ وغشٌ محرمٌ، ويخالف الأمانة الخُلقية.

ج- الخداع بما يوهم كثرة الراغبين في شراء السلعة ليرفع عليهم الثمن أو الأجرة، كما في النجش. وهو: أن يبدي شخصٌ رغبةً في شراء سلعة لا ليشتريها، بل لإغراء غيره بها، وإيهامه بكثرة الراغبين فيها. وهو أيضاً محرمٌ شرعاً، لقوله(صلى الله عليه وسلم : (ولا تناجشوا). ويلحق به ما يشبهه من أنواع الغش والخداع مما يستثير الناس، ويغري بالشراء.

د- ومنه المسترسل وهو: الشخص الذي يتصف بسلامة السريرة، ويجهل قيمة السلعة، ولا يحسن المساومة، فيطمئن إلى صدق البائع ويستسلم له، فيستغل البائع ذلك فيه، فيبيعه بغبن فاحش (أي بزيادة كبيرة لا تكون عادة بين المتبايعين استغلالاً لاسترساله) فقد قال الرسول في النهي عن ذلك: (غبن المسترسل حرام) وفي روايات: (ربا). أي أن خداعه واستغلاله حرام شرعاً، وأن تلك الزيادة ربا ولا تحل. وحين أخبر النبي عن رجل يُغْبَنُ (أي يُخدع) في بيعه، قال له النبي(صلى الله عليه وسلم : (إذا بايعت فقُلْ لَا خِلَابَةَ) ، أي؛ لا خديعة. بمعنى أني اشتريت منك بشرط أن لا تكون قد خدعتني. فإذا تبين أنه قد خدعه، كان له الخيار في إبطاله.

هـ - ومنه الغش في المكيال والميزان، وقد ورد التحذير منه في أكثر من موضع في القرآن الكريم، بل إن سورة من سور القرآن الكريم سميت باسم المطففين، أي المتلاعبين بالمكاييل والموازين،. قال تعالى: {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ، وَإِذا كالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ، أَلا يَظُنُّ أُولئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ} و لا شك أن الانتهاء عن هذه التصرفات من شأنها أن تؤسس لخلق الأمانة المهنية.

المحاضرة الحادية عشرة

التواضع المهني، الرفق المهني، التعاون المهني.

– الخلق الثالث: التواضع المهني :

التواضع لغة : التذلل والتخاشع.

و اصطلاحاً : إظهار التنزّل عن المرتبة لمن يراد تعظيمه .

– أدلة التواضع المهني :

1– قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ)). قوله : أَذِلَّةٍ جمع ذليل، من تذلل إذا تواضع، وليس المراد بكونهم أذلة أنهم مهانون، بل المراد المبالغة في وصفهم بالرفق ولين الجانب للمؤمنين، وعلى الكافرين بالله، المعاندين لآياته، المكذبين لرسله أعزة، قد اجتمعت همهم وعزائمهم على معاداتهم، وبذلوا جهدهم في كل سبب يحصل به الانتصار عليهم.

2– عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: ((ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزّاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله)).

في قوله صلى الله عليه وسلم: «وما تواضع أحد لله» تنبيه على حسن القصد والإخلاص لله في تواضعه، لأن كثيراً من الناس قد يظهر التواضع للأغنياء ليصيب من دنياهم، أو للرؤساء لينال بسببهم مطلوبه، وقد يظهر التواضع رياء وسمعة، وكل هذه أغراض فاسدة، لا ينفع العبد إلا التواضع لله تقربا إليه، وطلباً لثوابه، وإحساناً إلى الخلق، فكمال الإحسان وروحه الإخلاص لله.

3– عن معاذ بن أنس الجهنيّ (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ((من ترك اللّباس تواضعا لله، وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتّى يخيّره من أيّ حلل الإيمان شاء يلبسها)).

– في الحديث: فضيلة من ترك الفاخر من اللباس تواضعًا؛ لأنَّ من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه، ومن تواضع لله رفعه في الدنيا والآخرة.

– صور التواضع في المهنة :

للتواضع في المهنة عدة صور، منها :

1. من أصبح رئيساً وجب عليه التواضع لمرؤوسيه، وتفقد حاجاتهم ومجالستهم، ومشاركتهم في المناسبات، وأن يعاملهم كما يحب أن يعاملوه لو كان مكانهم.
2. أن يتقبل نصحهم وتوجيهاتهم إذا وافقت الحق، ولو على خلاف ما يراه.
3. الموظف يتواضع لزملائه ، وللمراجعين ، فيقدّر حاجاتهم ، ويجتهد في خدمتهم .
4. أن يكون بابه مفتوحاً لاستقبال الناس ولقضاء حاجاتهم، وأن يقابل المراجعين بالترحيب والأنس، وأن لا يتضجر منهم، ولا يميز أحد على أحد في معاملته.

– الخلق الرابع : الرفق المهني :

– تعريف الرفق لغة : الموافقة والمقاربة بلا عنف.

– اصطلاحاً : هو لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل.

– أدلة الرفق المهني :

1. قوله تعالى: ((فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ)).

اللين والرفق من الرئيس في الدين، تجذب الناس إلى دين الله، وترغبهم فيه، مع ما لصاحبه من المدح والثواب الخاص، والأخلاق السيئة من الرئيس في الدين تنفر الناس عن الدين، وتبغضهم إليه، مع ما لصاحبها من الذم والعقاب الخاص، فهذا الرسول المعصوم يقول الله له ما يقول، فكيف بغيره؟! أليس من أوجب الواجبات، وأهم المهمات، الاقتداء بأخلاقه الكريمة، ومعاملة الناس بما يعاملهم به صلى الله عليه وسلم، من اللين وحسن الخلق والتأليف، امتثالا لأمر الله، وجذبا لعباد الله لدين الله.

2. قوله تعالى: ((اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (43) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ)).

في هذه الآية عبرة عظيمة، وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار، وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك، ومع هذا أُمِر ألا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين. فكيف بحالنا مع زملائنا في المهنة ورؤسائنا ومرؤوسينا؟ وكيف حالنا مع طلابنا ومراجعينا؟ أليسوا هم أولى بالمعاملة باللطف واللين؟

3. عن عائشة زوج النّبيّ (صلى الله عليه وسلم) عن النّبيّ (صلى الله عليه وسلم) قال: ((إنّ الرّفق لا يكون في شيء إلّا زانه، ولا ينزع من شيء إلّا شانه)).

في الحديث الحثّ على أن يكون الإنسان رفيقاً في جميع شؤونه، رفيقاً في معاملة أهله، وفي معاملة إخوانه، وفي معاملة أصدقائه، وفي معاملة عامة الناس يرفق بهم، فإن الله عزّ وجلّ رفيقٌ يحب الرفق، ولهذا فإن الإنسان إذا عامل الناس بالرفق يجد لذة وانشراحاً، وإذا عاملهم بالشدة والعنف وجد الحسرة والندم.

4. عن عائشة (رضي الله عنه) قالت: سمعت من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول في بيتي هذا: «اللهمّ من ولي من أمر أمّتي شيئا فشقّ عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمّتي شيئا فرفق بهم فارفق به».

في الحديث دليل على أنه يجب على الرئيس أو الموظف تيسير الأمور على الناس والرفق بهم، ومعاملتهم بالعفو والصفح؛ لئلا يدخل عليهم المشقة، ويفعل بهم ما يجب أن يفعل به الله.

– صور الرفق في المهنة :

للرفق في المهنة عدة صور، منها :

1. المسؤول يطلب منه الرفق مع الموظفين والعمال ، فلا يشق عليهم في العمل ، بل يرفق بهم ؛ لأنه كما يحب أن يراعي الآخرون ظروفه وراحته، فإنهم كذلك ينتظرون منه أن يكون بهم رفيقا ولهم رحيما.

2. الموظف يطلب منه الرفق مع المراجعين وأصحاب الحاجات حيث لا يشق عليهم بمطالب غير ضرورية، فيضطرهم لتعطيل مصالحهم ، ويحرجهم في أوقاتهم ، أو يشق عليهم في تطويل مدة انتظارهم ، أو في إتعابهم بأي شكل .

3. الأستاذ مع طلابه، يجب أن يرفق بهم، وأن يكون قدوة لهم في ذلك.

4. إذا خيّر الموظف بين أمرين فيما فيه مصلحة الناس، فإنهم يختار الأرفق بهم والأيسر لهم.

الخلق الخامس : التعاون المهني :

تعريف التعاون لغة : مأخوذ من «العون» الّذي يراد به المظاهرة على الشيء يقال: فلان عوني أي معيني وقد أعنته، والعون أيضا الظّهير على الأمر.

وليس للتعاون معنى اصطلاحي خارج عن معناه اللغوي.

فالمقصود بهذا الخُلُق أن يساعد أطراف المهنة بعضهم في أدائها بروح الفريق.و إنما يتحقق ذلك بالتزام الأطراف تسييد معاني الأخوة، والتناصح، والشورى والصبر على المكار.

– أدلة التعاون المهني :

1. عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : «انصر أخاك ظالما أو مظلوما» . قال: يا رسول الله، هذا ننصره مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً؟ قال: «تأخذ فوق يديه».

المقصود أن المظلوم في حقه أو ماله يُمنع عَنْهُ الظلم ويُرفع عَنْهُ الحيف بكل ما يستطاع من الوسائل حتى يأخذ حقه، وأما نصر الظَالِم فمنعه عن الظلم فإن أراد استلاب مال حلت بينه وبينه وأخذت بيده، وإن أراد البطش ببريء ضربت على يده إن كانت يدك أقوى من يده، وتراعي الحكمة لئلا ينقلب ظالًا لك.

2. عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: إنّ رجلاً جاء إلى النّبيّ (صلى الله عليه وسلم)، فقال: يا رسول الله، أيّ النّاس أحبّ إلى الله تعالى؟ وأيّ الأعمال أحبّ إلى الله؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : «أحبّ النّاس إلى الله تعالى أنفعهم للنّاس، وأحبّ الأعمال إلى الله تعالى سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة أو تقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعا، ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحبّ إليّ من أن أعتكف في هذا المسجد» – يعني مسجد المدينة– شهرا)).

– صور التعاون في المهنة :

للتعاون في المهنة عدة صور، منها :

1. إنكار الذات والترفع عن الأنا، والالتفات إلى روح الجماعة.
2. الفرح بالثناء والمديح والتكريم والتقدير إذا أكرم الجميع أو كان للغير، وليس للنفس فقط.
3. بذل المساعدة لمن يحتاجها، وبذل المشورة والتوجيه لمن يحتاجه.
4. نقل الخبرات والتجارب لزملاء العمل، وتنبيههم بالمشاكل والأخطار المتوقعة عند اتخاذ أي قرار.

المحاضرة الثانية عشر

الأخلاق المهنية المذمومة : عدم الوفاء بالعهود والعقود، الإهمال في العمل، التربح من المهنة، وقبول الهدايا والعطايا المحرم على العامل قبولها، تضييع وقت العمل في غير منفعة معتبرة شرعاً

– الأخلاق المهنية المذمومة :

الخلق الأول : عدم الوفاء بالعهود والعقود .

عدم الوَفاءُ لغة : الغدر.

و المقصود : عدم التزام الموظف بالعقد الذي أبرمه مع جهة التوظيف، أو عدم التزامه كمسؤول بالعقود التي أبرمها لجهة عمله مع جهات أخرى.

الفرق بين العقد والعهد : أن العقد فيه معنى الاستيثاق والشد، ولا يكون إلا بين متعاقدَين، والعهد قد ينفرد به الواحد، فكل عقد عهد ولا يكون كل عهد عقداً.

– الأدلة الناهية عن خلق عدم الوفاء بالعهود والعقود :

1– قوله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود)) .

هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان بالوفاء بالعقود، أن يوفوا بالعقود، بإكمالها، وإتمامها، وعدم نقضها ونقصها.

2– قوله تعالى: ((وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً)) .

أي : أنكم مسؤولين عن الوفاء بالعهود والعقود من عدمه، فإن وفيتم فلكم الثواب الجزيل وإن لم تفوا فعليكم الإثم العظيم.ثم إن لفظ العهد في الآية عام يشمل كل عهد ووعد وعقد بين الإنسان وربه، أو بينه وبين المخلوقين في طاعة، فالوفاء بالعهد وتنفيذ شروط العقد من الإيمان .

إن الوفاء بالعهد أو العقد: معناه تنفيذ مقتضاه، والحفاظ عليه على الوجه الشرعي، وبحسب التراضي الذي لا يصادم أصول الشرع، خلافا لمن يتهاون بالعقود ويتخلص منها وينقضها إذا تبدل وجه المصلحة، فذلك ذنب عظيم وجرم كبير، يتساهل به من لا دين له ولا خلق ولا كرامة.

– صور عدم الوفاء بالعهود :

1. **الحضور المتأخر، وعدم الالتزام بساعات العمل.**
2. **التمارض والحصول على إجازات بدون حق .**
3. **عدم الالتزام بتنفيذ العقود في مواعيدها .**
4. **تعاقد المسؤول مع جهة ثم لا يلتزم بشروط العقد، أو ينهي العقد دون إخبار الجهة التي تعاقد معها.**
5. **التحايل على كل ما من شأنه ضبط العمل، كالتحايل على نظام البصمة أو دفاتر توقيع الحضور والانصراف.**
6. **الحضور في الوقت، لكن إغلاق المكاتب في وجه المراجعين، وتضييع وقت العمل في تصفح الانترنت، أو في تبادل الحديث مع الزملاء.**
7. **إعطاء المعاملة أكثر من وقتها المستحق، حتى لا يكلّف بمعاملات أخرى.**

– الخلق الثاني: الإهمال في العمل :

الإهمال لغة : مصدر أهمل، وتأتي بمعنى ترك الشيء وعدم استعماله عمداً أو نسياناً ،و المقصود : التكاسل والتقصير في أداء العمل، وعدم إتمامه على الوجه المطلوب.

– الأدلة الناهية عن خلق عدم الإهمال في العمل :

1. **قال تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا)).**
2. **عن عائشة (رضي الله عنه) قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ((إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه)).**

فعلى الموظف أن يُحْكم عمله بإخلاص وصدق وإتقان، قاصدًا بذلك النفع للمسلمين، ميسرًا لهم، باذلًا لهم العون في حدود نظام العمل .

– صور الإهمال في العمل :

1. الإهمال في استخدام الأدوات والأجهزة والممتلكات، مما يؤدي إلى إفسادها.

2. الإهمال في معرفة ما يتضمنه عقد العمل من حقوق وواجبات.

3. إهمال المعاملات والأوراق الرسمية مما يؤدي لضياعها أو تلفها.

4. إهمال المراجعين، وتضييع أوقاتهم في الانتظار، أو في البحث عن معاملاتهم التي ضاعت بسبب إهماله.

– الخلق الثالث : التربح من المهنة، وقبول الهدايا والعطايا المحرم على العامل قبولها :

يقصد بذلك : أن الموظف يستغل وظيفته لعقد صفقات تجارية خاصة به، أو لذويه بشروط غير عادلة للجهة التي يعمل فيها، أو يتعاقد لشركته أو مؤسسته مع جهة عمله بشروط مجحفة، أو يستولي على النسب والرشاوي التي تعطى له على بسبب التعاقد. كما يقصد أيضاً: قبول الموظف للهدايا والأعطيات التي تعطى له بسبب وظيفته.

– حكم التربح من المهنة، وقبول الهدايا والعطايا المحرم على العامل قبولها :

التربح من الوظيفة محرم ، فمن المتقرر شرعاً أن الموظف لا يجوز له أن يستفيد من منصبه، فإذا حصل شيء من الربح فلا بد من تسليمه لجهة العمل أو إلى بيت المال.أما قبول الهدايا فالأصل فيه تحريم بذلها وقبولها، فإن كان للشخص حق مرتبط إنجازه بموظف، ولا يستطيع الوصول إلى حقه إلا بدفع مال لهذا الموظف،

– فالأمر لا يخلو من حالتين :

– الحالة الأولى : أن يصبر ولا يدفع للموظف، فهذا هو الأولى.

– الحالة الثانية : أن يحتاج لأخذ حقه، ويأبى الموظف إلا الدفع، فإنه يحرم على الموظف مماطلة صاحب الحق، وقبوله ما يدفعه إليه تجاهه؛ لأنه مرتشٍ.

أما البذل له من صاحب الحق، فالأظهر (والله أعلم) أنه يجوز في حال لم يتمكن صاحب الحق الحصول على حقه إلا بالدفع؛ لأن الباذل يدفع به الظلم عن نفسه، وهو جائز؛ لاستنقاذه حقه بذلك كما يستنقذ الرجل أسيره، وإليه ذهب جمهور العلماء .

– الأدلة الناهية عن خلق التربح من المهنة، وقبول الهدايا والعطايا المحرم على العامل قبولها :

قصة ابن اللُّتْبِيَّة المَشهورة، عن أبي حميد الساعدي، قال: استعمل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رجلاً على صدقات بني سليم، يدعى ابن اللتبية، فلما جاء حاسبه، قال: هذا مالكم وهذا هدية. فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ((فهلا جلست في بيت أبيك وأمك، حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقاً))

هذا الحديث يدل على أن الواجب على الموظف أن يؤدي ما وكل إليه، وليس له أن يأخذ هدايا فيما يتعلق بعمله، وإذا أخذها فليضعها في بيت المال، ولا يجوز له أخذها لنفسه؛ لهذا الحديث الصحيح، ولأنها وسيلة للشر والإخلال بالأمانة.

2. قال (صلى الله عليه وسلم) : ((هدايا العمال غلول)).

في الحديث جعل النبي (صلى الله عليه وسلم) هدايا العمال من باب الغلول، وهو منهي عنه؛ لأن الهدية تجعل الموظف يميل لمن أهدى إليه، وميل الموظف لمن أهدى إليه يعني تصرف في مقتضيات وظيفته ؛ ومنها المال العام تصرف غير مشروع .

– صور التربح من المهنة :

أ– إرساء العطاءات على أقاربه، أو على شركة هو شريك فيها بطريق مباشر أو مستتر.

ب– إفشاء أسرار عمله إلى أناس ليتربحوا منها مقابل المال .

ج– تزوير بعض الأوراق مستغلاً موقعه الوظيفي ليحقق مكسباً له، أو لمن يهمه أمره، على حساب الجهة التي يعمل فيها .

د– استخدام موقعه الوظيفي وإمكاناته للتربح بطريق مباشر، أو غير مباشر ؛ مثل تسخير إمكانات الجهة التي يعمل فيها لتجارته الخاصة .

– الخلق الرابع: تضييع وقت العمل في غير منفعة معتبرة شرعاً :

أوجب نظام الخدمة المدنيَّة على الموظف "أن يخصص وقت العمل لأداء واجبات وظيفته" .

فيجب أنْ يؤدِّي العمل بنفسه، وأنْ يخصِّص وقت العمل لأداء العمل المكلف بإنجازه، ومُراعاة الدقَّة اللازمة وموجبات حسن العمل في حدود اختصاصه، و مُراعاة مواعيد الدوام الرسميَّة، واستهداف أداء الخدمة العامَّة والمصلحة العامَّة.

– صور تضييع وقت العمل :

1. إنجاز الأعمال في وقت أطول من الوقت المحدد لها .
2. تعقيد الإجراءات بقصدٍ ما، بحيث يؤدي إلى استغراق وقت طويل، وهذا بدوره يزيد من التكلفة والمصروفات .
3. استغراق وقت طويل في قضاء الحاجات، وتناول الطعام والشراب وفي ذلك تعطيل لمصالح الناس.
4. استغراق وقت طويل في الاستعداد للصلاة وصلاة النوافل؛ مما يؤدي إلى تعطيل العمل.
5. التسامر والمزاح والجلسات الخاصة وقراءة الجرائد في وقت العمل من صور ضياع الوقت المحرم شرعاً.
6. الخروج من مكان العمل بدون إذن، ويتستر عليه زملائه.

المحاضرة الثالثة عشر

أبرز جهود المملكة العربية السعودية في مجال حماية النزاهة ومكافحة الفساد المهني

– تأسيس هيئة تعنى بشكل مباشر بتحقيق النزاهة ومكافحة الفساد :

1– تكثيف حملات التفتيش والمراقبة من قبل الجهات الرقابية المختلفة ودعمها ماديًا ومعنويًا.

2– إصدار الأحكام القضائية الرادعة في حق من يثبت منه تعمد ارتكاب ما يخل بواجب المهنة.

3– التشهير بمن يستحق التشهير عبر القنوات الرسمية وحسب ما تنص عليه اللوائح والأنظمة المعمول بها في المملكة العربية السعودية.

5– حفيز الجامعات ومؤسسات الدولة المعنية بالتوعية والتثقيف والتذكير بواجب حماية المال العام وحرمته سواء عن طريق عقد الندوات أو المؤتمرات أو حلقات النقاش والخطب والدروس والمحاضرات .

6– منح الصحافة مساحة من الحرية الإعلامية في الشراكة الحقيقية لمكافحة الفساد.

7– التأكيد على أهمية الجودة في القطاعات التنموية والسعي الحثيث لتطبيق الحكومة الإلكترونية التي تقلل مساحة الفساد جراء التدخل البشري المباشر.

– أبرز الأنظمة الوطنية السعودية ذات العلاقة بمكافحة الفساد المهني :

أولاً: نظام الخدمة المدنية.

صدر نظام الخدمة المدنية في المملكة العربية السعودية في رجب عام 1397هـ بناء على المرسوم الملكي رقم (م/49) وتاريخ 10/7/1397هـ.

وتكون النظام من (40) مادة اعتمدت مبدأ الجدارة كأساس لاختيار الموظفين لشغل الوظائف العامة في المادة الأولى منها.

بينما حددت المادة الحادية عشرة الواجبات التي على الموظف العام الالتزام والتقيد بها، وحددت المادة الثانية عشرة المحظورات التي يجب على الموظف العام الابتعاد عنها، والتي عمدت بشكل خاص إلى تجريم ارتكاب جرائم الفساد الإداري.

ويتجلى الدور الوقائي لنظام الخدمة المدنية في: مواجهة جرائم الفساد الإداري والمالي من خلال تحديد الواجبات التي يجب على الموظف العام الالتزام بها، وكذلك تحديد المحظورات التي يجب على الموظف العام الابتعاد عنها.

ثانياً: نظام تأديب الموظفين :

صدر بقرار مجلس الوزراء رقم 1023 وتاريخ 28/10/1390هـ. المتوج بالمرسوم الملكي رقم م /7 وتاريخ 1/2/1391هـ.

–و قد صُدّرت مذكرته التفسيرية بالآتي :

ما أصدق عمر (رضي الله عنه) إذ وصف الوظيفة العامة بأنها أمانة وأنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها، ذلك أن الموظف أمين على المصلحة العامة في نطاق اختصاصه، ومسؤول عن أن يبذل قصارى جهده للإسهام في حسن أداء المرفق الذي يعمل به للخدمة التي نيط أمرها بذلك المرفق. ومن هنا كان لابد أن تهتم الدولة اهتماماً خاصاً بحقوق الموظف وواجباته

وأن تصدر النظم التي تتكفل بها . و طبيعي و هذه هي الظروف الخاصة التي تحيط بنشاط الموظف أن تعني الدولة و هي بصدد ضبط الوظيفة العامة بإرساء القواعد التي تحاسب من يخطئ من الموظفين حتى يكون الجزاء ردعاً للمخطئ وعبرة لأمثاله ولذلك تحرص الدول المتقدمة في عالمنا هذا على إصدار نظم تضع القواعد العامة للزجر إذا ما فرط الموظف في واجبه أو اخطأ وتقيم الأجهزة السليمة التي تسهر على تنفيذ هذه القواعد وتطبيقها بما يحقق العدالة فلا يؤخذ بريء بجرم لا يسأل عنه ولا يفلت المسيء من العقاب .

– يتضمن النظام الآتي :

القسم الأول : هيئة الرقابة والتحقيق .

الباب الأول : في تشكيل الهيئة.

الباب الثاني : في الاختصاصات والإجراءات.

القسم الثاني : هيئة التأديب .

الباب الأول : في تشكيل هيئة التأديب.

الباب الثاني : في الاختصاصات والإجراءات.

القسم الثالث : أصول التحقيق والتأديب.

القسم الرابع : أحكام عامة.

– ثالثاً : نظام مكافحة الرشوة :

صدر بقرار مجلس الوزراء رقم ١٧٥ بتاريخ ٢٨ / ١٢ / ١٤١٢ هـ، المتوج بالمرسوم الملكي رقم م/٣٦ بتاريخ ٢٩ / ١٢ / ١٤١٢ هـ

– يتضمن النظام ما يلي :

بيان من يعد مرتشياً، ومن يعد في حكم المرتشي، وتحديد عقوبات ذلك، تجريم بعض الأعمال المتصلة بعمل الموظف العام ومن في حكمه، بيان من يعد في حكم الموظف العام في تطبيق أحكام النظام، تحديد عقوبة من عرض الرشوة ولم تقبل منه، وعقوبة الراشي والوسيط والشريك، تحديد العقوبات التبعية، حالات الإعفاء من العقوبة، بيان مكافأة من أرشد لجريمة من هذه الجرائم، تحديد بعض العقوبات على المؤسسة أو الشركة التي يدان مديرها أو أحد منسوبيها بجريمة من هذه الجرائم .

– أبرز الجهات الرقابية الوطنية السعودية ذات العلاقة بمكافحة الفساد المهني :

أولاً : وزارة الخدمة المدنية :

تقوم الوزارة بالإشراف على شؤون الخدمة المدنية في الوزارات والمصالح الحكومية والأجهزة ذات الشخصية المعنوية،

– و تتولى بوجه خاص من ضمن اختصاصاتها ما يلي :

١– مراقبة تنفيذ أنظمة الخدمة المدنية واللوائح والقرارات المتعلقة بها.

٢– وضع القواعد والإجراءات الخاصة باختيار أفضل المتقدمين لشغل الوظائف الشاغرة.

٣– فحص تظلمات الموظفين المحالة إليها من الجهات الحكومية المختصة وإبداء الرأي فيها.

ثانياً : ديوان المراقبة العامة :

يختص ديوان المراقبة العامة وفقاً لما نصت عليه المادة (٧) من نظامه الصادر بالمرسوم الملكي رقم (م/٩) بتاريخ 11/2/1391هـ بالرقابة اللاحقة على جميع ايرادات الدولة ومصروفاتها، وكذلك مراقبة كافة أموال الدولة المنقولة والثابتة، ومراقبة حسن استعمال هذه الأموال واستغلالها والمحافظة عليها، مع التحقق من أن كل جهة من الجهات الخاضعة لرقابة الديوان تقوم بتطبيق الأنظمة واللوائح المالية والحسابية وفقاً لنظامها الخاص، وأنه ليس في تصرفاتها المالية ما يتعارض مع تلك الأنظمة واللوائح.

وعليه يمارس الديوان نوعين من الرقابة وهي الرقابة المالية ، ورقابة الأداء ، وله صلاحية واسعة وفقاً لاختصاصه، حيث يقوم بمراجعة التقارير المالية والإدارية للدولة ككل، وهذه المراجعة تكون حسب المعايير المهنية المتعارف عليها دولياً، ومن هذه المعايير ما يتعلق بتقييم أنظمة الرقابة الداخلية في الجهات التي تخضع لرقابة الديوان. هذا بالإضافة إلى متابعة الأنظمة واللوائح المالية والحسابية النافذة للتحقق من كفايتها وملاءمتها للتطورات والمستجدات، وتوجيه النظر إلى أوجه القصور وتقديم المقترحات المناسبة لتطوير هذه الأنظمة واللوائح، أو تغييرها.

ثالثاً: هيئة الرقابة والتحقيق :

أنشئت الهيئة بموجب المرسوم الملكي رقم م/7 وتاريخ 1391/2/1هـ و هي هيئة مستقلة ترتبط مباشرة برئيس مجلس الوزراء تختص بالرقابة على حسن الأداء الإداري وتطبيق الأنظمة والتحقيق في المخالفات المالية والإدارية والادعاء فيها أمام المحكمة المختصة.

إن دور الهيئة في الرقابة يعتمد على عنصر المفاجأة في كثير من الحالات للمساهمة في إصلاح الموظف العام، وبالتالي وقاية الإدارة الحكومية من الأخطاء والمخالفات التي قد تحدث أو يتم الإخبار عنها. وفي هذا الصدد تمارس الهيئة نوعاً من الرقابة المحدودة (الرقابة الفجائية الوقائية) بهدف المساعدة على متابعة إنجاز الأعمال والخدمات وفقاً لما هو مقرر لهذه الإدارة بخطة الدولة، ولها في هذا السبيل أن تبحث وتتحرى أسباب القصور في الانجاز والأداء ، سواء لوجود ثغرات في الأنظمة، أو عن طريق الكشف عن المخالفات والجرائم المسلكية التي يرتكبها الموظف العام، وتحليل أسبابها، وتقديم الاقتراحات والحلول للتغلب على هذه المخالفات.

– كما أن هناك جهات حكومية أخرى مثل :

وزارة التجارة والصناعة | و هيئة السوق المالية | و مصلحة الجمارك تقوم بدور رقابي وفق الاختصاصات المناطة بها.

المحاضرة الرابعة عشر

تطبيقات أخلاقيات المهنة في نظام الخدمة المدنية، والتعريف بالهيئة الوطنية لمكافحة الفساد "نزاهة"، مع ذكر أهدافها واختصاصاتها

– تطبيقات أخلاقيات المهنة في نظام الخدمة المدنية :

تحدَّث نظام الخدمة المدنية عن بعض الجوانب في أخلاقيات المهنة، وهو ما يتعلق بشروط التعيين و مؤهلات الموظف و الحفاظ على الأسرار و الالتزام بوقت الدوام ، وعالج بعض الأخلاقيات السلبية كالرشوة ، واستغلال المنصب ، وبيّن حقوق الموظف ، وواجباته ، والجزاءات العقابية في حال المخالفة المتعمدة .

و يلاحظ أن هذه الجوانب النظامية تتفق مع أحكام الشريعة، لذا فإن الالتزام بها يُعدّ التزاماً بالشرع إضافة إلى أنه التزام وظيفيّ ، وهذا يعين الموظف على تطبيق الأنظمة حيث يستشعر الأجر من الله تعالى على تنفيذ النظام لأنه طاعةٌ لله تعالى، ثم لولاة الأمر ، ولأنها تحقق المصلحة العامة.

أولاً : المواد الأخلاقية :

– الكفاءة :

ورد في المادة الأولى من نظام الخدمة المدنية : الجدارة هي الأساس في اختيار الموظفين لشغل الوظيفة العامة ، والجدارة تمثل مجموع عناصر وصفات ذاتية في الشخص تتصل بالكفاءة الفنية والكفاءات الإدارية والمواظبة ، وحسن السلوك، وغير ذلك من الملاءمات المتروكة لتقدير الإدارة.

و ورد أيضاً في المادة الرابعة من نظام الخدمة المدنية ما يوضح بعض مجالات الكفاءة،

فجاء في شروط التعيين: أن يكون الموظف :

– حسن السيرة والسلوك :

غير محكوم عليه بحدٍ شرعيّ أو بحبسه في جريمة مخلة بالشرف أو الأمانة حتى يمضي على انتهاء تنفيذ الحد أو السجن ثلاث سنوات على الأقل .

غير مفصول من خدمة الدولة لأسباب تأديبية ما لم يكن قد مضى على صدور قرار الفصل ثلاث سنوات على الأقل .

– الالتزام بوقت الدوام :

في نظام الخدمة المدنية / المادة 11 : يجب على الموظف أن يخصص وقت العمل لأداء واجبات وظيفته.

وهذا الالتزام جزء من الأمانة في الوقت؛ لأن الموظف مؤتمن على وقت عمله، والأجرة التي يحصل عليها هي مقابل قضاء الوقت في العمل، لذا يلزم الموظف أن لا يستغل وقت الدوام لقضاء المصالح الشخصية، أو الخروج في وقت العمل دون إذن؛ لأنه خلاف الأمانة، والاستثناءات لها أحكامها.

– المحافظة على الأسرار :

في نظام الخدمة المدنية: المادة 12 / : هـــ يحظر على الموظف خاصة إفشاء الأسرار التي يطلع عليها بحكم وظيفته ولو بعد تركه الخدمة.

ويقصد بالأسرار الوظيفية تلك المعلومات أو البيانات التي يطلع عليها بحكم شغله للوظيفة، والتي قد تبقى خافيةً عن البعيدين.

– المعاملة الحسنة مع المراجعين :

في نظام الخدمة المدنية: المادة 12/ 1 : على الموظف استعمال الرفق مع أصحاب المصالح المتصلة بعمله، وإجراء التسهيلات والمعاملات المطلوبة لهم في دائرة اختصاصه وفي حدود النظام.

– عدم استغلال المنصب :

في نظام الخدمة المدنية: المادة 12 /ب : يحظر على الموظف خاصة إساءة استعمال السلطة الوظيفية، واستغلال النفوذ.

وفي المادة 12/ أ: يحظر على الموظف استعمال سلطة وظيفته ونفوذها لمصالحه الخاصة.

ثانياً : الواجبات :

– المحافظة على الآداب :

في المادة 11/أ من نظام الخدمة المدنية : يجب على الموظف خاصة أن يترفع عن كل ما يخل بشرف الوظيفة والكرامة، سواء كان ذلك في محل العمل أو خارجه.

– الالتزام بأداء العمل :

في المادة 11 من نظام الخدمة المدنية : يجب على الموظف خاصة أن يخصص وقت العمل لأداء واجبات وظيفته .

–حسن التعامل :

في المادة 11 من نظام الخدمة المدنية : يجب على الموظف أن يراعي آداب اللباقة في تصرفاته مع الجمهور، ورؤسائه، وزملائه، ومرؤوسيه.

– طاعة المسؤولين :

في المادة 11/ ج من نظام الخدمة المدنية : يجب على الموظف أن ينفذ الأوامر الصادرة إليه بدقة وأمانة في حدود النظم والتعليمات .

ومن واجبات جهة العمل تجاه الموظف : في المادة 36 : تعدّ تقارير دورية عن كل موظف وفق لائحة يصدرها رئيس مجلس الخدمة المدنية. واللائحة هي " لائحة تقويم الأداء الوظيفي " الصادرة في عام 1404 هـ .

– التعريف بالهيئة الوطنية لمكافحة الفساد "نزاهة"، مع ذكر أهدافها واختصاصاتها :

– الفساد في التعريفات المعتمدة دوليًا ووطنيًا :

– جاء في تعريف منظمة الشفافية الدولية للفساد الإداري بأنه "كل عمل يتضمن سوء استخدام المنصب العام لتحقيق مكاسب خاصة ذاتية أو جماعية".

– وورد في تعريف الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد بالمملكة العربية السعودية "نزاهة" : أن الفساد ذو مفهوم مركب، له أبعاد متعددة، وتختلف تعريفاته باختلاف الزاوية التي ينظر من خلالها إليه. فيعد فسادًا كل سلوك انتهك أيًا من القواعد والضوابط التي يفرضها النظام. كما يعد فسادًا كل سلوك يهدد المصلحة العامة، وكذلك أي إساءة لاستخدام الوظيفة العامة لتحقيق مكاسب خاصة.

– و من منطلق هذا التعريف تشمل ظاهرة الفساد جرائم متعددة مثل :

الرشوة والمتاجرة بالنفوذ، إساءة استعمال السلطة ، التلاعب بالمال العام واختلاسه أو تبديده أو إساءة استعماله، غسيل ا لأموال، الجرائم المحاسبية، التزوير.

– اختصاصات وأهداف الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد :

– تم إنشاء الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد في المملكة العربية السعودية بالأمر من الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود رقم: أ/65 و تاريخ : 13/4/1432هـ. تهدف الهيئة لمكافحة الفساد الحكومي ورصده، وترتبط مباشرة بالملك .

– تهدف الهيئة إلى حماية النزاهة ، وتعزيز مبدأ الشفافية ، ومكافحة الفساد المالي والإداري بشتى صوره ومظاهره وأساليبه .

و لها في سبيل تحقيق ذلك الاختصاصات التالية :

– متابعة تنفيذ الأوامر والتعليمات المتعلقة بالشأن العام ومصالح المواطنين بما يضمن الالتزام بها.

– التحري عن أوجه الفساد المالي والإداري : في عقود الأشغال العامة وعقود التشغيل والصيانة وغيرها من العقود المتعلقة بالشأن العام ومصالح المواطنين في الجهات المشمولة باختصاصات الهيئة ، واتخاذ الإجراءات النظامية اللازمة في شأن أي عقد يتبين أنه ينطوي على فساد أو أنه أبرم أو يجري تنفيذه بالمخالفة لأحكام الأنظمة واللوائح النافذة.

–إحالة المخالفات والتجاوزات المتعلقة بالفساد المالي والإداري عند اكتشافها إلى الجهات الرقابية أو جهات التحقيق بحسب الأحوال ، مع إبلاغ رئيس الهيئة (التي يتبعها الموظف المخالف) بذلك .

– العمل على تحقيق الأهداف الواردة في الاستراتيجية الوطنية لحماية النزاهة ومكافحة الفساد، ومتابعة تنفيذها مع الجهات المعنية ، ورصد نتائجها وتقويمها ومراجعتها ، ووضع برامج عملها وآليات تطبيقها .

–تشجيع جهود القطاعين العام والخاص على تبني خطط وبرامج لحماية النزاهة ومكافحة الفساد، ومتابعة تنفيذها وتقويم نتائجها.